اخر لحظات العمر

عمر عاشور

اخر لحظات العمر

عمر عاشور

تدقيق لغوي : عبدالله أبو الوفا

تصميم الغلاف : إسلام مجاهد

رقم ايداع:

ترقيم دولي:

دار فصلة للنشر والتوزيع

العزيزيه - منيا القمح - مصر

٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١

fasla,pub@gmail,com

FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظه

الطبعه الأولي أكتوبر ٢٠١٧

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

اخر لحظات العمر

عمر عاشور

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

إهــداء

إلى من علمني كل شيء . . .

إلى من جعلني أمسك أول كتاب بيدي رغمًا عني ومن حينها لم أستطع مفارقة القراءة . . . .

إلى من مر على فراقه أكثر من أربعة أعوام . . . .

إلى (أبي) . . . اشتقت لك أكثر من أي شيء. .

إلى لقـاء قريب . . . .

بدايـــة . . . .

كلٌّ منا له قصة في حياته، حكاية سرية لا يعلمها إلا الله وقلبه البسيط الذي طالما حاول نسيانها ولكن دون جدوى، كلٌّ منا جاءته الصدمة من أقرب الأشخاص وذاق مرارة الغربة بتلك القلوب التي اعتبرها وطن يومًا ما. . .

الآن انزاح الســتار عما بداخلك . . . .
بالتأكيد ستجد نفسك في أحد الأوتار التالية إن لم يكن معظمها أو حتى كلها.
فما تقرأه الآن ليست مجرد صفحات لكنها أوتار مزيج بين الألم والسعادة

ستجد نفسك في أحد الأوتار القادمة فلا تتركها حتى تصل إلى الوتر الأخير . . . !

اشتقت لذلك الغريب الموجود بداخلي، ليـــتنا نلتقي يومًا . . . .

(١)

ظلامٌ دامس يعُم الأنحاء ولكنه لا يساوي جزيء من خيوط الظلام المتشابكة في قلبه، دقت الساعة معلنة عن بدء يوم جديد، الثانية عشر منتصف الليل بتوقيت القاهرة، اللحظة التي يعود بها الغالبية إلى منازلهم استعدادًا لبدء عناء يوم جديد في محاولة بائسة للإمساك بزمام الحياة المنفلتة منهم منذ عقود.

كانت تلك اللحظة التي ينتظرها هذا الشاب ذو الستة والعشرين عامًا، فأنهى جرعة الكافيين التي كان يمسكها بيده وأطفأ لفافة التبغ التي كانت بيده الأخرى في تلك المطفأة التي امتلأت ببقايا السجائر، غرفة كانت كمدخنة قطار قديم لا تفعل شيء سوى تغطية الأنحاء بالأبخرة والدخان، بدأ ترتيباته بالذهاب إلى خزانة ملابسه فتدثر بأزهى ما يملك راسمًا على وجهه ابتسامة، كأنما يحدث نفسه في داخله عن مدى السعـادة التي يشعر بها الآن، فأخيرًا سينتهي كل ألم في حيـاته.

لكن أوقفه عندما أغلق خزانته شكل لحيته الشنيع في المرآة، من إهماله لها بدا كإنسان الغابة قديمًا، ففضل أن يهذبها قليلًا قبل كل شيء، ضغط على زر تشغيل الماكينة ليصبح بعد دقائق حليق الشعر والذقن تمامًا.

أنهى كل ذلك وسار واثق الخطى نحو شرفة غرفته ولكن في طريقه لمح

قنينة العطر المفضل له المسمى (هوجو) والتي كانت ترتبط بالعديد من الذكريات في حيـاته، فتعطر بها لتكتمل هيئته وكأنه يوم زفافه.
خرج إلى شرفته متلقيًا هواء يناير البارد بصدر رحب وبنفس الابتسامة التي لم تفارق فاه، ولكنه في هذه اللحظة قرر أن ينهي كل شيء سريعًا، فصعد أعلى سور شرفته مطلعًا على المحيط المجاور له كاملًا بكل وضوح وقد ساعده على ذلك منزله القاطن في الطابق التاسع.
ها هي حياته تنتهي أمامه أو سينهيها هو بالطريقة التي يراها مناسبة، فتح ذراعيه وأخذ في تذكر كل ما مضى عليه، خيبات وفراق قد يكون العنوان الأمثل لحياته، نعم ضاق ذرعًا من كل شيء!
بدأ في التمايل رويدًا للأمام ولم يكن يقاومه سوى الهواء الشديد، لكن فجأة سمع صوت اتصال على هاتفه، من يتصل بهذا الوقت ومنذ متى وهو محور اهتمام لأحد، أيًا كان لا يهم الآن فقد حزم أمره وقرر أن يتجاهل رنين الهـاتف غير المبرر . . .
قاوم جسده الهزيل قوة الهواء ليهوى، يشعر أنه يسقط الآن من السماء السابعة . . . . أقل من لحظة وسينتهي كل شيء!

*****

كان صوت رنين الهاتف له أثر أكبر من أشعة الشمس المتعامدة على وجهه تمامًا ليستيقظ (كريم) من النوم في كسله المعتاد، أوقف رنين الهاتف المستمر وهو يزفر في ضيق، ارتدى بدلة أنيقة سوداء من أجل اجتماع اليوم، ظهر فيها في رونق أبطال الأفلام القديمة، أضفت عليه هيبة ووقار فوق ما هو عليه.
التقط جميع أغراضه اليومية وخرج خارج الغرفة، الساعة الثامنة صباحًا،

لكن على الرغم من أن الوقت مازال باكرًا إلا أن البيت لم يكن به أحد، خرج والده ووالدته إلى العمل منذ لحظة سطوع الشمس أو قبلها كالعادة.
كان يفعل كل صباح ما اعتاد عليه منذ عامين، روتين فتاك ضاق به، أنهى ارتداء ملابسه في ظل دقات عقارب الساعة المرتفعة المزعجة، التي تشعره دائمًا بأن هناك موعد ما يقترب، خرج من شقته مباشرة، طلب المصعد ووقف منتظرًا صعوده من الطابق الثاني، يكره الانتظار حتى ولو كان أجزاء من الدقيقة، لكن سيأتي المصعد على كل حال سواء الآن أم تأخر قليلًا، لكن ما كان يؤلمه حقًا هو انتظار تلك الأشياء غير المتوقع قدومها من الأساس.
أخيرًا وصل ما كان ينتظره، دلف لداخل المصعد وقد بدأ يشعر بدواره المعتاد، كل شيء يتحسن بقدح القهوة الصباحي بالمكتب.
كريـم المهدي؛ شاب في الرابعة والعشرين من عمره، قمحي البشرة، واسع العينين، أنيق المظهر، دائمًا محل إعجاب الجميع، ليس فقط لكونه ابن أحد أكبر رجال الأعمال في مصر، لكن لتلك اللباقة والدبلوماسية في الحديث التي جعلته دائمًا قريب إلى القلوب، لكن على الرغم من ذلك إلا أنه قضى سنوات الدراسة منعزلًا إلا من بعض الأصدقاء التي تتفاوت درجات قربهم منه، اعتاد على العزلة حتى اعتادت هي عليه . . .
دقائق قاربت من نصف ساعة حتى وصل إلى مقر الشركة، عَينه والده مدير الحسابات بالشركة، كان دائمًا ما يلقى احترامًا كبيرًا من جميع العاملين علاوة على مركزه فهو ابن صاحب الشركة ورجل الأعمال المعروف (حسين المهدي) . . .
--مستر حسين مستنني حضرتك في مكتبه-.
كانت المتحدثة لمياء سكرتيرة مكتب (حسين المهدي)

--طيب يا لمياء قوليلهم يعملوا قهوتي ويجيبوها في مكتب أستاذ حسين-.
--حاضر يا أستاذ كريم-.
نظر الأخير إلى ساعته مدركًا أن الوقت مازال مبكرًا على الاجتماع، لم يكن يعلم سبب تلك الدعوة المفاجئة؟!
طرق كريم الباب ودخل إلى مكتب والده، مكتب كان كل جزء فيه يتحدث عن ثراء صاحبه وذوقه الأنيق في اختيار كل قطعة أثاث بداخله أو ذوق مهندس الديكور المختص على الأحرى . . .
خطوات قليلة قادت كريم لمقعد مواجه لوالده:
--نعم يا بابا، لمياء قالت إنك طلبتني-.
ظل والده معلق نظره على كريم، كما هو الحال منذ لحظة دخوله من باب المكتب فأردف كريم:
--إنت تمام يا بابا؟!-
زفر والده مجيبًا:
--إعتبرني تمام، بص لمياء هتكمل معانا لأخر الشهر وفيه بنت هتيجي تمسك الشغل مكانها، مش هثق غير فيك تفهمها الشغل-.
--بس أنا شغلي في الحســابـــ . . . -.
قاطعه رافعًا يديه لإيقاف جملته المتوقعة:
--عارف شغلك فين يا كريم، لكن إنت عارف إن دي شركتك، أنا مش هعيشلك طول العمر، لازم تتعامل مع الكل واللى بطلبه منك مش هياخد ساعة لمدة كام يوم-.
--طيب إيه رأيك تخلي البنت دي تستلم شغل دلوقتي ولمياء تعلمها شغلها-.

--النهارده ٢٦ يا كريم-.
--طيب لسه باقي حوالي ٤ أيام أو أكتر-.
ابتسم والده بسخرية:
--لا هو باقي إنك تركز إننا في شهر فبراير يا كريم-.
صفع كريم جبهته بيده اليسرى مستقبلًا تلك الصدمة بابتسامة هادئة، أيقن أنه لا فرار من قرار والده: -أنا هقوم أشوف القهوة فين وهسبق على صالة الاجتماعات-.
اكتفى والده بأن يومئ إيجابًا له.
خرج كريم وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة، لا يرتاح لأي تعامل أو معرفة جديدة مع أي شخص، خرج متجهًا لمكتبه وقد أشار إلى لمياء بالإسراع وإرسال قهوته على مكتبه فورًا . . .
رفع هاتفه للاتصال على والدته لكن ما الفائدة؟، هي لن تجيب اتصاله كما لم تفعل دائمًا، هي غارقة بأعمالها، منتشية بكونها سيدة مجتمع معروفة ولها مكانة وسط جميع رجال ونساء المجتمع الراقي.
دخل سامح على كريم وبيده فنجان القهوة الخاص به، تاركًا إياه مبتسمًا، كان كريم يعلم أن سامح فقد القدرة على النطق منذ أعوام في حادث، كان يشفق دائمًا على حاله، شاب في منتصف العشرينات من عمره تمامًا مثله وتعرض لكل تلك النوائب.
تاه كريم في دهاليز عقله متسائلًا، إلى متى سيستمر الحال على ما هو عليه؟، إلى متى سأظل عالق بين رجل أعمال وسيدة مجتمع على الورق هم والدي ووالدتي؟، إلى متى سأظل مقيد بقلب وعقل يخشيان أي جديد ويهابان الناس، عقل يخشى التشتت وقلب يهاب التمزق، إلى متى سيظل

الوضع على ما هو عليه؟
ساعات مرت على كريم في تفكير مستمر، ساعات شردت بها عيناه واكفهرت جبهته، يشعر كأنه شيخ تائه بين طيات الماضي.
قاطع شروده دخول حمزة، صديقه من بين صديقين فقط اقتنص كريم معرفتهما من أيام الدراسة المنصرمة، لم يكن حمزة هو الأقرب له لكن لم يجدا إلا بعضهما البعض منذ سفر صديقهما هشام مع زوجته للخارج عقب التخرج مباشرةً، زاد رباط الصداقة بينهما منذ عمل حمزة بالمكتب المجاور له بذات الشركة.
--عم الناس أقسم بالله-.
قالها حمزة بطريقته المعتادة،
--يا بني إنت شغال في شركة من شركات المهدي مش على عربية فول-.
--خلاص بونجور مسيو كريم-.
ابتسم كريم على أسلوب حمزة، لطالما كان أشبه بالفنان الكوميدي الذي يخفف العبء عن الجميع على الرغم من أنه يحمل بداخله الكثير.
--يلا يا عم حمزة عندنا اجتماع وسيبك من هزارك ده شوية-.
--مش هبطل هزار طول ما إنت كئيب كده ياعم . . لازم حد يطري الجو-.
--يطري ؟! . . إطلع بره يا حبيبي-.
ابتسم حمزة وهو يخرج من الغرفة متجهًا لقاعة الاجتماعات.
نظر كريم إلى ساعته فوجدها الواحدة مساءً، حتمًا بدأ الاجتماع ووصل الحضور، كم يكره أن يكون متأخرًا على أي موعد، لكن لم يكن هناك مفر من إنجاز وإمضاء تلك الملفات.
وصل أخيرًا لمقصده، اعتذر للحضور عن تأخره في ظل نظرات والده الغاضبة،

سحب الكرسي المواجه لوالده وجلس في صمت.

*****

سمعت صوت رنين هاتفها في زخم عملها اليومي المعتاد، تميز جيدًا تلك الأغنية التي خصصتها لصديقتها (فرح)، كانت فرح هي الوحيدة المتبقية لها من كل صديقات الجامعة اللاتي جرفهن تيار الحياة بعيدًا، منهن من تزوجت وسافرت ومنهن من بدأت عمل بأبعد بقاع الأرض.
ابتسامة أبرزت صف مرصوص من الأسنان، كـ بدر أتم ضوئه في اليوم الرابع عشر من التقويم الهجري.
--إزيك يا فرح، وحشتيني-.
--بطلي بكّش بقى، بصي ليكى عندي مفاجأة-.
ابتسمت فريدة على إثر جملتها، تعلم جيدًا أن فرح تحاول أن تساعدها بكل شيء تود الوصول له: -لا متسكتيش يا فرح، إيه المفاجأة؟-
--بالليل هقابلك عشان نختار طقم جديد للشغل الجديد-.
اتسعت عينا فريدة من تلك المفاجأة، تثاقلت الحروف على لسانها، لا يوجد شيء يعبر عن مدى سعادتها الآن، لطالما تمنَت اللحظة التي تبدأ بها عمل لمساعدة والديها.
أردفت فرح:
- -إيه يا فريدة هي المفاجأة وحشة أوى كده-.
--وحشة إزاى بس ده كان حلم-.
--خلاص يبقى ننزل النهاردة نختار الطقم الجديد-.
بصوت امتلأ بالسعادة: -بجد ربنا يخليكى ليا، هي نتيجة الفحص إمتى؟-
هدوء عم المكالمة، صمتت فريدة على إثر سؤالها هنيهة ثم قالت: -إنتى

اسمك فرح وطول عمرك إنتى سبب الفرح لينا كلنا، ربنا عارف ده أكيد ومتأكدة إننا هنتطمن عليكى وأنا قولتلك إنى مش هلبس فستان أبيض إلا لما أشوفك فيه الأول-.

مسحت فرح دمعاتها التي سبقت أي حديث: -حبيبتى ربنا يفرحني بيكى و ببنجاحك في حياتك كلها-.

ودعت فريدة صديقتها، فرحة عارمة بالعمل الجديد دُفنت بسبب تفكيرها بمرض صديقتها، المرض اللعين الذي يصيب أحدهم ليفتك أولًا بمن حوله، المرض الذي أصبح يشبه الإنفلوانزا دون تفرقة بين عُمر أو لون جميعهم هالكون بشكل ما.

أسرعت فريدة لوالديها لتبشرهما بعملها الجديد، بالتأكيد سيفرحان دون حاجتهم لمعرفة ما هو من الأساس، أب متقاعد وأم مثلت السُلطة الأولى بالبيت، كانت والدتها دائمًا تنصحها باختيار الرجل الأكثر ثراء بغض النظر عن أي شيء مما جعل فريدة دائمًا تظن أنها مجرد سلعة في بيت والدتها لا أكثر.

سعادتهما فاقت توقعاتها، تحولت سعادتها وأصبحت على النقيض تمامًا بعد ما سمعت جملة والدتها، لأول مرة تكره سعادتها فقد كانت دائمًا تشعرها بالرُخص: -عقبال ما فرح تلاقى العريس وأفرح بيكى يا رب-.

جملة جعلت فريدة تدخل غرفتها على إثرها، جملة ظهر بها كل معاني ضيق تفكير والدتها.

فريدة الحسيني؛ فتاة أتمت عامها الثاني والعشرين منذ أيام، تميزت ببشرة بيضاء جعلت الجميع يشك في جنسيتها المصرية علاوة على عينيها الرمادية، تخرجت من كلية إعلام، تميزت باللباقة وحسن المظهر دائمًا، لم تكن تشبه

والديها أو بيئتها بأي شيء على الإطلاق.
أعدت الطعام ولكن لأول مرة منذ مدة لا تجلس مع والديها، ساعات مرت ببطئ كـ لحظات انتظار مصاب لـ موت حتمي لا مفر منه.
أعلنت الساعة عن السابعة مساءً ومعها كانت فريدة في أتم الاستعداد للقاء صديقتها، خرجت من غرفتها مودعة والديها على مضد.
وصلت الأخيرة إلى المكان المُتفق عليه وأخذت تتلفت في محاولة بسيطة لإيجاد صديقتها وسط زحام العابرين، بالفعل . . . دقيقتين من وصولها فقط مرت وتبعتها صديقتها (فرح).
تبادل كلٌ منهما القُبل والعناق، لم تكن فرح في أحسن حالاتها بالتأكيد، عينان منتفختان على إثر البكاء، تحاول النظر لكل شيء حولها لتستمتع به لأقصى درجة ممكنة فلعلها تكون الأخيرة في أي وقت.
لاحظت فريدة شرود صديقتها:
- -دايماً وجودك معايا بيقوينى . . دايماً بحس إنك سبب صبري على حجات كتير أوى-.
انتبهت فرح على الجزء الثاني من جملتها مبتسمة:
--ربنا يخلينى ليكى بقى يا ستى-.
أردفت مطأطأة رأسها لأسفل:
- -أوعى متجيش معايا يوم نتيجة التحاليل يا فريدة، أنا عارفة إنك هتكونى لسه مستلمه الشغل بس أنا هحاول أخلي مشوارنا متأخر شوية-.
--إنتى مجنونة، مستحيل أسيبك يا بت . . يغور الشغل، هنطمن عليكى وتجيبيلى واحد تانى-.
--على فكرة دي فرصة متتعوضش، شركة ناس كتير بتحلم بيها . . طبعاً

قبولهم ليكى مش فضل ولا مجاملة، ده عشان إنتى متميزة-.
حديث طويل دار بينهما، اختارتا الملابس الجديدة للعمل بكل دقة وعناية، تحدثتا تقريبًا عن كل شيء لكن الشيء الوحيد الذي يبقى محيطًا شائكًا هو علاقة فريدة الأسرية، تعلم فرح إلى أي مدى يجعل هذا الحديث نفسيتها تتحول للأسوء، فدائمًا تفضل الصمت، كما هو الحال دائمًا . . . الصمت خير حديث عن من لا يستحق الحديث.
عادت فريدة إلى بيتها وهي تتراقص فرحًا وترتجف خوفًا، سعيدة بعملها الجديد وممزقة من فكرة مرض صديقتها، فرح هي كل شيء في حياتها، صداقة دامت ١٥ عام منذ أن كانتا بأيام الدراسة الأولى.
يومان مرا على الجميع بين قلق وانتظار وترقب، حتى أتى فصل الربيع، بدايات شهر مارس.
خرجت فريدة من منزلها باكرًا وقد تدثرت بأزهى ثيابها الجديدة التي أضفت على مظهرها شيئًا من الرقة وبعض الرسمية، أشارت لأحد سيارات الأجرة وأخبرت السائق العنوان، لم تكن تدري أن الطريق سيستمر عبر الزحام قرابة النصف ساعة لكن على كل حال فقد احتاطت وخرجت من منزلها باكرًا.

*****

ظلت الأوضاع دون أي تغيير، كريم بين غرف الاجتماعات والمكتب والبيت، عاد للتدخين بعد إقلاع دام عامين وأكثر، كان يعلم جيدًا أن قرار الإقلاع أو الابتعاد عن أي شيء هو الخطوة الأسهل، لكن الحفاظ على هذا القرار خطوة ستشعل حروب بداخلك لا ملاذ منها في النهاية.
جلس على مكتبه يحاول طرد أي أفكار من رأسه، يستجمع قواه لاتخاذ

قرار السفر لعدة أيام، يعلم أنه من الصعب وسط زخم العمل وتغيير بعض أفراد الإدارة أخذ هذا القرار، لكن لابد من ذلك، أيام ويصاب بالاكتئاب إن لم يكن أصيب به منذ زمن طويل من الأساس.

طرقات أفاقت كريم من شروده وتجهم وجهه:

--أستاذة فريدة وصلت يا فندم-.

رفع رأسه في بطئ وإعياء: -تمام يا لمياء لكن قبل ما تدخليها أفتحى الدرج اللى قدامك ده-.

بالفعل قامت لمياء بالمطلوب لتجد علبة مستطيلة، ابتسمت على الفور أدركت أنها هدية لها من كريم في أخر أيام عملها، دائمًا كريم قريب للموظفين، لم يشعروا يومًا أنه مدير عليهم.

شكرته لمياء متمنية له دوام النجاح، خرجت لمياء مشيرة لفريدة بالدخول، دلفت الأخيرة للمكتب، تشعر بثقل خطواتها وخفقات قلبها تكاد تُسمع الجميع، لأول مرة تبدأ عمل ولكن هذا ليس أي عمل، عمل بمجموعة شركات (المهدي)، حلم أغلب الشباب إن لم يكن كلهم.

--إتفضلى، تشربى إيه ؟!-

قالها كريم محاولًا تخفيف العبء الواضح على ملامحها،

--لا شكراً أنا تمام-.

--طيب أنا شوفت ال (CV) بتاعك، تمام والجميل إنك عرفتى تطورى نفسك، واثق إنها مجرد فترة إنتقالية في حياتك وهتستلمى قريب مركز كبير أوى في الشركة-.

--إن شاء الله أكون عند حسن ظن حضرتك فيا-.

ابتسم كريم بعد جملتها الأخيرة، خجلها كان يتحدث عن ذاتها: -طيب

أنا مبحبش حد يشتغل معايا ويكون ميعرفنيش، أنا كريم المهدي درست بيزنس في الجامعة الأمريكية، لكن اهتمامى بمجال علم النفس وتحليل الشخصيات سيطر على حياتى وده السبب إنى بعمل أغلب مقابلات الشركة-.

عقبت فريدة على كلام كريم:

--حضرتك بتشتغل في الشركة من زمان-.

أعادت تلك الابتسامة -بحديثها- لوجه كريم.

--أنا صاحب الشركة-.

اتسعت عيناها وارتفع حاجباها، لعلها لا تستطيع أن تتصور أن شاب في العشرين من عمره قد وصل لكل هذا النجاح،

لاحظ كريم صدمتها فأردف مسرعًا:

--المستقبلي!-.

--أه ما أنا بقول كده-.

قالتها فريدة وقد عادت ملامح وجهها لطبيعتها، بعد أن لاحظت تلك اللوحة المكتوب عليها اسمه باللغة الإنجليزية،

منع كريم الصمت الذي توقع حدوثه:

--ممكن تيجى معايا تشوفى مكتبك-.

--أكيد طبعاً-.

خرج الاثنان متجهين إلى المكتب الجديد، نظرات الموظفين تأكل فريدة، هي دخيلة على هذا الكيان بالتأكيد وأمامها أيام وربما شهور حتى تستتب الأمور.

أشرف كريم بنفسه على وصولها لمكتبها:

--أولاً مبروك، ثانياً أستاذ حسين بيحب ساعات يمر على الموجودين بنفسه،

إتعودى على إن إسلوبه ناشف شوية مش أكتر-.
--لا أبدا، الشغل مفيش فيه زعل، لكن كنت حابة أطلب طلب؟-.
--إتفضلى-.
--ينفع أمشى النهاردة على الساعة واحدة، أصل . . -.
لم يتركها كريم تكمل الجملة قائلًا بوقار:
--واضح جداً إن فيه حاجة مخلياكى متوترة، وده السبب اللى خلانى أعتبر النهارده تعارف سريع بالشركة، ومن بكره هعرفك آلية الشغل بإذن الله-.
ابتسمت فريدة على رد كريم غير المتوقع، كانت تتوقع إقالتها من الشركة قبل بدء العمل من الأساس، أيهم له القدرة على الاعتذار من أول يوم، لكن شاء أم أبي لن تترك صديقتها في مثل هذا اليوم.
--تقدرى تتفضلى دلوقتى لو مستعجلة، بس إعملى حسابك من بكرة الشغل هيكون بجد-.
أومأت برأسها إيجابًا والتقطت حقيبة يدها وخرجت على الفور مستأذنة.
أربعون دقيقة إلى أن وصلت فريدة إلى المركز، كانت الساعة الثانية عشر والنصف ظهرًا، تبقى نصف ساعة على موعدهما مع الطبيب.
لمعت بعقلها فكرة الاطمئنان على فرح من الطبيب قبل قدومها، لا تطيق أن تنتظر حتى لو دقيقة قادمة.
هرولت مسرعة لأعلى، دخلت المركز والذي كان هادئ إلى حد ما، طلبت مقابلة الطبيب فورًا، وافق الطبيب على الفور، هو يعلم فريدة جيدًا، دائمًا كانت ذات أسلوب حواري مميز يجعل كل من يتحدث معها لا ينساها، كانت تلك سمة إلهية بشخصها منذ أيامها الأولى.
أشار لها بالجلوس، هم واقفًا وهو يجذب أحد تلك الأظرف الكبيرة المتراكمة

كالتلال بمكتبه.
--تشربى إيه يا آنسة فريدة؟-
لم تكن فريدة مستعدة لأي شيء سوى الاطمئنان على صديقتها:
--شكرا يا دكتور . . . طمنى النتيجة إيجابية صح؟-
خلع الطبيب نظارته وهو يزفر قائلًا بهدوء:
--أنا مبحبش المقدمات، صاحبتك مريضة جدًا، سرطان دم حاد (Acute leukemia) عشان كده مظنش العلاج في الوقت ده هيكون أكتر من إهدار مادي ومعنوي، العلاج هيكون أمل ليكوا على الفاضي-.
وضعت فريدة يمناها على فمها، تتمنى أن يكون هذا كابوس، هي جائت لتسمع عكس ذلك تمامًا، خذلتها التوقعات كالعادة.
انهمرت دموعها قبل أن يردف الطبيب:
--أرجوكى مينفعش نحسسها بكده، أنا هفهمها أن الحالة متوسطة الخطورة، لازم نعمل أي حاجة عشان نحسن حالتها النفسية-.
تمسكت فريدة بجملته الأخيرة كمن تحاول التشبث بقشة للحياة:
--يعنى لو نفسيتها إرتاحت ممكن تتحسن-.
بدأ الطبيب في التوتر، لا يعلم ما الرد المناسب، تعرض كثيرًا لتلك المواقف لكن هو يعلم مقدار صداقتهما:
--الأعمار بيد الله يا أستاذة فريدة، لكن النفسية بتفرق، أظن على الأقل تعيش سعيدة الفترة دي-.
دموع فريدة أنهار جارفة، لا تستطيع إيقافها، دموع الفقد أو الشعور بالفقد دائمًا لا تأتي عن طريق العين والقنوات الدمعية، إنها تأتي من القلب مبــاشرةً.

--الفترة دي قد إيه يا دكتور؟؟-
فضل الطبيب عدم الإفصاح، أو بمعنى أخر عدم التوقع للوقت الزمني المتبقي، كلها توقعات ويبقى قدر الله هو الواقع الوحيد،
--قولت لك الأعمار بيد الله، إتفضلى قومى إغسلى وشك صاحبتك كلها عشر دقايق وتكون هنا-.
تحركت فريدة ببطئ، كطفلة بدأت أولى عهود تعلم الحركة، بذلت ما بوسعها لتبدو على طبيعتها، تبقت دقائق لحين وصول صديقة عمرها.

*****

يوم كان عند بعض الطلاب هو يوم الفرح، يوم التخرج، وقفت فريدة مهمومة تفكر في الطريقة التي ستشتري بها ملابس لحفلة التخرج، لاحظت فرح ذلك ولكنها فضلت الصمت، وخاصة أن عائلة فرح من الطبقة ميسورة الحال.
عادت كلٌ منهما إلى بيتها، وما هي إلا ساعات قليلة، حتى تسامعت صوت طرقات الباب بطريقة هيستيرية، طرقات كادت تجعل انهيار الباب شيء حتمي.
--فيه إيه يا فرح مالك؟-
قالتها فريدة وقد خر قلبها من بين ضلوعها.
--إتفضلى يا هانم-.
مدت فرح يدها بصندوق كبير حملته بصعوبة
--إيه ده؟-
--إفتحى وشوفى-.
تفاجأت فريدة بطاقمين من الملابس، نعم إنه ذوق صديقتها فرح المميز،

دمعت فريدة من سعادتها بتلك المفاجأة.
--أنا جبت أتنين، أختارى اللى يعجبك و أنا هاخد التانى، وقبل ما تتكلمى الإتنين عاجبنى أكتر من بعض-.
--ربنا يخليكى ليا يا فرح-.

*****

-ربنا يخليكى ليا يا فرح-
رددت فريدة الجملة الأخيرة بصوت مسموع على إثر تذكرها واحد من مواقف لا تحصى مع صديقتها.
--ويخليكى ليا يا فريدة مالك يا ماما!-
فزعت فريدة على جملة فرح، فلم تلحظ أبدًا أنها قد وصلت وأصبحت أمامها مباشرة،
--هاااه، لا مفيش، بدعى ربنا نطمن عليكى بس-.
--إن شاء الله أنا متفائلة بيكى-.
جملة لم تكن بوقتها إطلاقًا، لم تستطع فريدة تأجيل عناقها لها، عناق دام طويلًا، عناق دل على كل شيء، لحظات جمعت الأمل والألم، الوداع واللقاء، الموت والحياة.
انتهى لقائهما مع الطبيب الذي دام دقائق قليلة، من الواضح أن فرح كانت تعلم الأمر برمته، كانت تعلم أنها لن تسمع سوى بعض الكلمات المطمئنة دون تحليل طبي جيد لحالتها، اكتفت في هذا اللقاء بتحريك رأسها محاولة أن تظهر اقتناعها بكل الهراء الذي يتحدث به الطبيب من وجهة نظرها، قررت فرح أن تنهي وصلات النحيب والصدمات، قررت أن تعيش كل يوم وكأنه الأخير، نعم ستستمتع بكل لحظة رغم أنف أي شخص.

خرجت فريدة وهي متجهمة على عكس فرح التي حاولت رسم السعادة والابتسامة على وجهها، حاولت كسر الصمت والحزن الكامن بنفس صديقتها:
--عارفة إن كلنا هنموت، ده قدر مفيش منه هرب، لكن دايما بنخاف على الناس اللى عارفين إنهم بيحبونا من عذابهم بعد موتنا، مع إن دعوة واحدة منهم لينا هتسعدنا في حياتنا التانية وهتسعدهم-.
دمعت فريدة كتعقيب وحيد على كلماتها، دائمًا قلب فرح يشعرها بكل ما هو قادم فأردفت فرح لرؤية دموع صديقتها:
--عارفة إيه اللى يخوف بجد؟ مش الموت أبداً، الحياة بتخوف أكتر منه بكتير، إحنا في طريقنا بين الحياة والموت بنموت ألف مرة، بنموت لما ننتظر حاجة عارفين إنها مش جاية، بنموت لما نتعلق باللى مش من نصيبنا، بنموت لما نحس بالعجز في لحظة نفسنا نسعد اللى بنحبهم ومش قادرين-،
اندهشت فريدة من تلك القوة التي تتحدث بها صديقتها، تغيرت تغييراً جذريًا، وكأنها تأقلمت مع هذا الوضع، هل يفعل المرض كل هذا؟، وكأن مريض ذلك المرض اللعين لا يأخذ منه سوى لقب (مريض) أما الألم يكون في جسد كل من حوله.
في وسط زحام الأفكار الذي تفوق عشرات المرات عن زحام المارة من حولهما، أكملت فرح دهشة فريدة:
--تيجى ناكل أيس كريم-.
جملة جعلت فريدة توقن أن صديقتها تريد أن تستمتع بما تبقى من حياتها بالفعل.
قضت كل منهما ليلتها بين الألم والتفكير في المستقبل لكن كلٌ بطريقته،

هناك من أعلنت الحداد بداخلها وقررت إظهار عكس ذلك وهناك من سيطر عليها الخوف كليةً.

عادت فريدة لمنزلها في وسط نظرات صامتة من والديها، على الرغم من ملامحها المبشرة بكل سوء.

--إتفقتوا على المرتب يا حبيبتى-.

كان هذا سؤال والدتها قبل حتى سؤالها عن حالها.

--أنا هدخل أنام وبعدين نتكلم في كل حاجة-.

قالتها فريدة وهي تضرب بسؤال والدتها عرض الحائط،

لم تكترث لأي مما تبع جملتها من كلمات لا معنى لها، دخلت غرفتها التي كانت تمتلئ بالصور عن يمينها ويسارها، صورها منذ أيام الدراسة الأولى وصور شقيقتها المسكينة التي تزوجت أول من تقدم لها ولا أحد يشعر بمدى معاناتها الآن، فمنذ أن سافرت معه لم تستطع فريدة الوصول لها بأي طريقة ممكنة.

تزاحمت الأفكار برأسها، فارتمت على المرتبة بظهرها، تفكر في تفاصيل حياتها ويكفي عليها التفكير في هذا اليوم، كم تكره التفاصيل، تلك التفاصيل التي تكشف لنا الوجه السيء من كل شيء.

*****

كانت الساعة قد تعدت التاسعة صباحًا بدقائق، نظر (كريم) لساعته وهو يرشف أخر قطرات فنجان الإسبريسو، طرقات الباب تبعها وجه فريدة.

كانت كمن مر عليها دهر بأكمله، وجه ذابل وليل تسلل أسفل عينيها، بالتأكيد مختلفة تمامًا.

فضل كريم ألا يظهر اهتمام بذلك أو السؤال عن السبب فهو ما يهمه الآن

هو العمل، أشار بسبابة يده اليمنى على ساعته لها مشيرًا لتأخيرها:
--بعتذر على التأخير ده-.
قالتها فريدة وقد فهمت مقصده.
--للمعلومات أستاذ حسين مبيحبش فكرة التأخير حتى لو دقايق، لكن يا رب يكون السبب خير-.
--الحمد لله على كل شيء، لو حضرتك فاضي بس تعرفني سيستم الشغل-.
--تمام-.
التقط سترته وخرج مشيرًا لها بالخروج أولًا لدواعي الإيتيكيت لا أكثر.
شرود يعقبه شرود، عدم تركيز طاغٍ على كل حواسها، بدأ كريم يلاحظ أن الأمر بدأ يتعدى الممكن، بدأ يلاحظ أنها غير مستعدة من الأساس لهذا العمل.
--يا آنسة فريدة لو حضرتك مش حابة الشغل عرفيني، مفيش فيها زعل، الحياة أقصرمن إننا نعمل حاجة مبنحبهاش فعلاً-.
انتبهت فريدة بعد جملته.
--أنا آسفة حضرتك-.
--من أول لحظة قولتلك إنى مش هعمل عليكى مدير، لكن أنا مش هسمح أن حاجة تضر بشغلى حتى لو كان الشخص ده أنا-.
بدأت تشعر فريدة بالخجل، بالفعل هي غير مستعدة للعمل تلك الأيام، كل ما تريده البقاء بجانب فرح، تريد أن تكون سر السعادة في ما بقي لها.
أحيانًا مشاعر الصداقة تتعدى كل شيء، الصداقة بمفهومها الراقي الخالي من المصالح والقيود.
--أنا مش هقدر أشتغل هنا، أنا آسفة أوى-.

بدأت تبكي، تعلم حماقة تصرفها، تعلم أيضًا أنها في أشد الحاجة لهذا العمل في هذا الوقت.

--وأنا سعيد بصراحتك-.

همّت فريدة بالنهوض سريعًا، تشعر أن عين كريم ترصدها،

--لحظة واحدة يا آنسة-.

توقفت فريدة مباشرة على صدى جملته الأخيرة.

--أظن زى ما خدتى من وقتى اللى فات ده، ووقت الشركة يحق ليا أسألك عن السبب!-.

كيف لها أن تخبره، لا تحتاج الشفقة من أحد، كم تمقت هذا الشعور لكنها تعلم أنه يجب إخباره على الأقل احترامًا له، وأين ستلتقي به مرة أخرى لتتلقى منه أي نظرة عطف أو شفقة.

التفتت له في بطئ وقد تثاقلت الحروف على لسانها، قررت الحديث لهذا الغريب، قرار لا تعلم عواقبه.

--أنا مقدمتش في الشغل هنا، لكن أنا فعلا مرتاحة نفسيا للشركة، بس استمراري فيها مش هيكون في صالح الشركة وأنا دماغي في عالم تاني، استمراري أنانية-.

--. . . . -

صمتت فريدة لتجد كريم صامت ومن الواضح أنه ينتظر للكلام بقية، فأردفت:

--أنا اللى قدمت ليا في الشركة صاحبتى فرح، دي أمي وأختي وصاحبتي وكل حاجة، فرح حاليًا عندها سرطان دم حاد ولازم أكون معاها في الأيام دي-.

صمت كريم وقد وضع جبهته بين يديه، لم يكن يتوقع أن الأمر بهذا السوء، حاول الكلام لكنه وجد في ذلك صعوبة أيضًا.
تفهمت فريدة صمت كريم، تعلم جيدًا أن ما قيل لا يحتاج لرد، كل ما تحتاجه هي أن يتفهم سبب تركها للعمل بعد يومين فقط منه، خرجت من المكتب عابسة.
على الجانب الآخر بقي كريم في موضعه، لا يريد التحامل عليها، وفي الوقت ذاته يصعب أن تـعمل في ظل تـلك الظروف، نهض كريم مسرعًـا ليفتح بـاب المكتب ليـحاول وضع حل مناسب لها لكن قد فات الأوان.

*****

مرت أيام لا جديد بها، فريدة تسعى دائمًا لعمل كل ما بيدها لإسعاد صديقتها، تنظر لها لتتخيل الحياة بدونها، كم هي مقيتة ومذرية، أيام قضتها فريدة بين بيتها لإعداد الطعام لوالديها والمساعدة بأعمال المنزل وبيت فرح التي سيطرت على أغلب أوقات يومها وعلى تفكيرها بالكامل.
أما عن فرح فكانت تعلم خطورة حالتها، تشعر بألم في كل لحظة، دوار شديد، شحبت بشرتها وفقدت الكثير من وزنها وبدأ شعرها يتساقط من إثر العلاج الكيماوي لكن لم يستطيع هذا المرض اللعين أن يسقط عنها بسمتها.
على باب غرفتها كتبت فرح تلك العبارة -لا شيء يستحق الانتظار، شئت أم أبيت كلٌ قادم في موعده- . . . عبارة كانت تذكرها في كل لحظة برسم ابتسامة عريضة على وجهها.
لم يكن حال كريم أفضل منهما كثيرًا، تذكر تعبيرات وجه فريدة، حُرقة حديثها، دمعات سالت على وجهها، التقط ورقة من سيرتها الذاتية والتي كُتب بها رقم هاتفها وطرق التواصل معها.

نقل كريم الرقم على هاتفه، تردد كبير قبل أن يضغط على زر الاتصال لكن في النهاية قرر أن يأخذ هذا القرار، لكن قبل لمس شاشته وجد اتصال قادم من والدته، منذ متى وهو محور اهتمام والديه.

استقبل الاتصال بهدوء:

--ألو-.

--عامل إيه يا حبيبي قولت أطمن عليك يا كيمو-.

ابتسم على جملتها، (كيمو ؟؟!)، يراهن أنها لا تعرف عمره الآن، يذكر أخر مرة رآها منذ أيام طويلة ومنذ ذلك الحين لم يلمحها صدفة في ببيتهم على أقل تقدير.

--تمام يا ماما، شغلك ماشى تمام؟-

--أه يا حبيبى، هتعوز منى حاجة؟-

اندهش كريم من تأدية الواجب السريع التي قامت بها والدته:

--سلامتك-.

أغلق كريم المكالمة وهو ينظر للشاشة، المكالمة لم تتعد نصف الدقيقة، كم يكره حياته إلى جوارهما، وأي جوار هذا؟!، إنها حياة إلى جوار جدران بيتهم، لا يذكر مرة لم يُلبِ والداه طلبه، لكنه اكتشف الآن أن طلبه الوحيد هو وجودهما إلى جانبه، يتمنى الشعور بمعنى العائلة وليس أموال العائلة.

مسح كريم وجهه بيسراه وقد تذكر ما كان يقوم به قبل تلك المكالمة السريعة، بالفعل اتصل على فريدة التي وجدت بدورها رقم غير مسجل على الشاشة، سلمت هاتفها لفرح كما تفعل دائمًا:

--ألو-.

قالتها فرح بشئ من الحزم،

--آنسة فريدة-.

ابتسمت فرح على إثر سماع اسم صديقتها، المتصل يعلم وجهته:

--لا والله معاك آنسة فرح صاحبتها-.

--أهلا وسهلا . . طيب أنا شوية وهكلم آنسة فريدة تكون فاضية-.

--إستنى بس يا عم إنت سريع كده ليه . . . معاك فريدة بس أقولها مين؟-

صمت كريم بعد سؤالها هنيهة ثم قال:

--كريم المهدي-.

مدت فرح يدها بالهاتف إلى فريدة وعلامات الدهشة تسيطر على ملامحها:

--ده كريم المهدي-.

لم تكن دهشة فريدة بأقل من فرح إطلاقًا، أخذت الهاتف من صديقتها في تردد:

--سلام عليكم-.

--وعليكم السلام . . على فكرة أنا عارف إن اللى بعمله مش ظريف . . لكن ربنا عالم إنتى أختي طبعا ويهمنى أقدم أي مساعدة في إيدى . . فيه دكتور في ألمانيا ممكن نعمل محاولة و نساعد فرح-.

صمت فريدة لا تعلم هل تبوح بما يدور بداخلها، هل تخبره أن كل ذلك لا أمل به، لكنها دائمًا تقتنع أن لكل شيء سبب وهناك إشارات إلهية، لما لا يكون اقتراح كريم هو الإشارة.

قالت بصوت مختنق:

--ربنا يقدم كل خير يا رب-.

تفهم كريم من ردها وجود فرح إلى الجوار فقال:

--طيب يا آنسة فريدة . . اللى معاكى ده رقمي وقت ما تفضي ممكن

نتكلم في الموضوع ده-
أنهى كريم المكالمة، كم يتمنى أن يكون سبب في حياة أرواح كثيرة، يعلم جيدًا أن شفاء فرح سيشفي لهب قلوب أهلها ومن قبلهم قلب فريدة.
من ناحية أخرى أضائت المكالمة مصباح أمل خافت في ثنايا قلب فريدة، كم تكره التشاؤم المسيطر عليها بخصوص هذا الموضوع.
--تيجى نرقص؟-.
كان سؤال صادم ومبهج في نفس الوقت، سؤال خرج من فرح لصديقتها.
--نرقص إيه يا مجنونة إنتى !-
--يا بنتي إحنا في أوضة مقفولة علينا . . وبعدين براحتنا ثم أنا نفسي أرقص بصراحة وأتنطط كده-.
لعنة الله عليك أيها المرض، ألا تصيب إلا تلك النفوس البريئة؟، كلمات تزاحمت بخلدها، تتمنى أن يتجسد المرض أمامها لتقطع أوصاله، لتعذبه كما يعذب صديقتها الآن.
--يلا يا هانم نعمل كل اللى إنتى عاوزاه-.

*****

الساعة التاسعة والنصف مساءً، عادت فريدة لبيتها بعد وصلة من الغناء والرقص والعودة لعهد الطفولة برفقة فرح.
دخلت مباشرة إلى غرفتها متسللة، لا ترغب أن يراها أحد، كم تكره خوض جدال بائس مع قاطني هذا البيت، ألقت حقيبة يدها على المرتبة وقامت بالاتصال بكريم، رنين طويل دون رد منه، نظرت لساعتها خشية الإزعاج لكن الوقت مازال مبكرًا، لماذا يقدم لها المساعدة وهو لا يعرفها من الأساس، تفكير طويل وقد تثاقلت أجفانها فغلبها النوم.

دقائق مرت فسمعت رنين هاتفها، فتحت عينيها برفق لكنها الآن الثامنة صباحًا، ساعات مرت عليها في دقائق، إجهاد لم يجعلها تشعر بأي شيء حتى الصباح.

نظرت إلى الهاتف فوجدت اسم (أستاذ كريم) كما أسمته على هاتفها نهضت مسرعة لتتلقى المكالمة:

--ألو-.

--صباح الخير يا آنسة فريدة-.

--صباح النور-.

أدرك كريم من صوتها أنها قد استيقظت للتو من نومها:

-آسف لو اتصلت في وقت مش مناسب-.

--لا أبداً إتفضل-.

حك كريم مؤخرة رأسه في محاولة لترتيب ما يريد قوله:

--كنت بس بكلم حضرتك عن إمكانية إننا نساعد فرح في إنـها . . -.

قاطعته فريدة قبل أن يشرع في بناء أحلامه على آمال كاذبة لها دون قصد:

--فرح في أخطر مراحل المرض . . صدقني لو فيه إمكانية أبيع جزء من جسمي أو حتى أخد منها المرض وهي تخف هعمل ده . . يؤسفني أقولك مفيش أمل-.

شعر كريم باستسلام فريدة للوضع الراهن، بدأ شعور اليأس يتسلل تدريجيًا إلى داخله، فضل التمسك بأخر ذرات الأمل قائلًا:

--طيب أنا هخلص شغل ممكن أشوف حضرتك أوضح ليكى وجهة نظرى-.

كانت فريدة على يقين كامل أن كل ما سيقال لن يكون إلا هراء وآمال لا معنى لها، أبعدت الهاتف عن أذنها وزفرت في إحباط لكنها قررت أن تسمع

أخر ما لديه ولِم لا؟

--طيب أشوف حضرتك بعد شغلك-.

اتفقا على الموعد والمكان، أغلقت الهاتف وهي تدفن وجهها بوسادتها تتمنى أن تخرج عقلها من داخلها، تتمنى أن تعود بها الحياة سنوات طويلة، لكن كما تقول فرح لها دائمًا -لا هروب من القدر-.

كانت فريدة دائمًا ما تحرص على مظهرها، تفكر قبل أي موعد لساعات فيما سترتديه، لكنها لم تكن تكترث بأمر مساحيق التجميل، فقد وهبها الله جمال طبيعي لا تحتاج لأي شيء صناعي لكن لا بأس من القليل فقط في بعض الأحيان.

لكن تلك المرة لم تكترث بأي من هذا لكنها قضت تلك الساعات في إنهاء الطعام لوالديها وتركته لهما، تفكر إن كان لكل شيء سبب فلم لا يكون كريم هو السبب في مساعدة فرح، لم لا يكون قشة نجاة لهما.

ساعات انقضت في إعداد الطعام والتفكير ثم التفكير إلى أن نظرت في ساعتها، إنها الثالثة مساءً، تبقت ساعة واحدة فقط على لقاء كريم.

في تلك اللحظات كان كريم قد أنهى عمله بالفعل ووصل إلى الكافية المتفق عليه طلب أسبريسو كالعادة ولكن تبقى وقت طويل لكن هو اعتاد على الجلوس وحيدًا، التقط لفافة تبغ من علبة سجائره وهو ينظر لها كغريم له، أشعلها وهو يحاول استهلاك الوقت ففتح هاتفه ونظر لصورة قديمة الأزل، صورة حدثت في حياته مرة، صورة جمعته مع والده ووالدته، ابتسم ابتسامة ساخرة:

--يااااه . . حسين المهدي ويسرا شاهين معايا في نفس الصورة-.

أعاد النظر لسيجارته وقد سحب منها نفس عميق فاكتفت رئتاه من

الدخان، أطفئها لكنه لم يستطع أن يطفئ حزن دفين في قرارة نفسه، كم يحتقر هذا البيت الشبيه بالفندق، يعود كل منهم في موعد مختلف ليأخذ قسطًا من الراحة ليستيقظ متوجهًا لعمله مباشرةً.

--آسفة لو إتأخرت عليك-.

جملة سمعها في زحام تفكيره، تبين له أنها فريدة عندما رفع عينيه:

--حمد لله على سلامتك-.

أشار كريم لأحد العاملين بالمكان: -بعد إذنك شوف الآنسة تشرب إيه؟-

--قهوة زيادة من فضلك-.

قالتها وهي تنظر له ثم أعادت نظرها لكريم قائلة:

--مش فاهمة سبب تمسكك بالموضوع ده يا أستاذ كريم-.

ابتسم الأخير:

--سيبك من أستاذ دي أولا إحنا أصدقاء وأخوات قبل أي حاجة . . أنا متمسك بطلبى لأسباب كتير أولا. . . . -.

قاطع كلامه اتصال وارد لـ فريدة من فرح:

--إيه يا فرح-.

قالت فرح بصوت ملأته البهجة:

--إنتى فين يا بت ؟!، وبعدين اسمها نعم-

--إحنا أسفين يا ستى . . أنا بره مع أستاذ كريم بنتكلم في الشغل-.

تعجبت فرح من لقائهما خارج مقر الشركة فطلبت منها بنفس البهجة السابقة أن تفتح مكبر الصوت، حاولت فريدة إيقاف طلباتها المجنونة لكن فرح كانت متمسكة بذلك، فعلت لها ما طلبت:

--اتفضلي إنطقى فتحت الإسبيكر-.

--كريم هل تسمعني؟-
قالتها فرح مازحة فارتسمت ابتسامة عريضة على وجه كريم معقبًا:
--أسمعك بوضوح-.
--وضوح إيه بقى . . سايبنى قاعدة في البيت . . طيب كنتوا خرجونى أنا مش بعمل دوشة والله-.
ابتسمت فريدة على أسلوبها المرِح المعتاد ولكن جملتها جعلت ضحكات كريم تعلو فأردفت:
--و بعدين أنا مش هعيشلك كتير يا فريدة يا بنتى . . عاوزة أخرج . . وكريم هيقنعك تخرجينى-.
جملة محت الابتسامة مع على وجوه الجميع، صمت ساد لثوانٍ جعلت كريم يسأل السؤال المعتاد -من أين لها تلك القوة ؟!- . . .
أحيانًا لا ندرك بساطة مشاكلنا إلا عندما نرى كوارث حياة غيرنا، وقتها نحتقر أنفسنا، نحتقر الضعف المسيطر علينا.
--طيب إيه رأيك تروحى الملاهي يا فرح هانم-.
خرجت الجملة السابقة دون سابق تفكير من كريم، فكرة لاقت إعجاب فرح كثيرًا.
--موافقة جدا على فكرة . . إعتبرنى جاهزة-.
--طيب حالاً هبعت لمعاليكى عربية بسواقها . . إحنا منطولش نشوف حضرتك والله يا فرح هانم-.
قالت مازحة كالمعتاد:
--والله كده كتير يا كريم يا بنى . . بس أدام إنتوا محتاجين وجودى أوى كده هتواضع وأنزل-

----

ضحك كريم ونظر لـ فريدة التي ظلت صامتة طوال الوقت تقريبًا حتى وبعد أن أنهت المكالمة مع فرح، يبدو أن حرب الأفكار بدأت داخل عقلها، تفكر في سعادة صديقتها المصطنعة، تعلم أنها تتألم من الداخل، تحاول وضع نفسها في نفس ظروف فرح، إنك تعلم جيدًا أن كل شيء بيد الله تعالى، لكن ماذا إن كانت حياتك علميًا وطبيًا تأخذ منعطفها الأخير في تلك الأيام؟

لا تعرف أيضًا سبب مساعدة كريم لهما بهذه الطريقة.

--أظن المكالمة دي أكتر حاجة ممكن تفهمك بعمل كده ليه-.

استمر صمت فريدة فأردف كريم:

--فرح تستاهل كل حاجة حلوة . . فرح اسم على مسمى وفعلا أنا متأكد إن وجودها سبب راحة وفرحة ناس كتير . . لما إتكلمتى عنها كنتى متأثرة أوى . . حسيت إنك صادقة في مشاعرك . . حسيت إنك محتاجاها أكتر من أي حاجة في الدنيا حتى لو كانت الحاجة دي وظيفة في شركات المهدي اللى نص شباب مصر نفسهم يشتغلوا فيها . . فرح مش مجرد إنسانة . . فرح روح وحياة لكل اللى حواليها-.

كانت سعادة فريدة لا توصف بسماع تلك الكلمات من كريم، كانت سعيدة لشعوره بمكانة فرح في حياتهم، بالتأكيد هو نعم الصديق أو منطقيًا هو نِعم الإنسان الغريب.

وسط اختلاط أفكار فريدة وضع كريم هاتفه ناسيًا شاشته مضيئة فكشفت عن صورته مع والديه.

عادت فريدة من شرودها ناظرة تلقائيًا لشاشة الهاتف:

--ربنا يخليكوا لبعض يا رب-.

قالتها فريدة معقبة على الصورة.
ابتسم كريم من جملتها قائلًا:
--دول بقى بابا وماما على الورق زي ما بيقولوا-.
اندهشت فريدة من جملته التي حملت معانٍ كثيرة ولكن قبل طلبها للتفسير وجدت كريم قد أخرج أحد الصور الموجودة على هاتفه قائلًا:
--ده بقى صديق عمرى وواحد من أقرب أتنين ليا في الدنيا . . إبتدائى وإعدادى وثانوى كنا مع بعض حتى الجامعة دخلناها سوا . . حب بنت جارته وحصلت حكاية طويلة جدا مش هوجعلك دماغك بيها-.
أسرعت فريدة قائلة:
--لا طبعاً حابة أسمع-.
فأكمل كريم حديثه:
--هشام حب البنت دي جداً . . لكن دايماً القدر بيقول كلمته فجأة . . كانت المفاجأة إن دينا وقعت على سلم بيتهم وحصلها مشاكل في الأعصاب و قعدت على كرسي متحرك . . ده زود تمسك هشام بيها وعلى الرغم من أن الكل سابها في أزمتها هشام قرر أنه ميسيبهاش وحارب الدنيا كلها عشانها لغاية ما أهله وافقوا مجبريـن.
صمت كريم ليلاحظ تركيز وصمت فريدة في انتظار استكمال ما حدث فأردف:
--لما أهله وافقوا بقى . . دينا رفضت لإنها كانت حاسة إن هشام مشفق عليها وهي زى كل البشر بتكره نظرة الشفقة أو إنها تكون صعبانة علي حد-.
قاطعته فريدة قائلة بصوت ارتفع عن الحد قليلًا:

--يعنى إيه ؟ . . متجوزوش-.
ابتسم كريم مكملًا حديثه:
--هشام قلب قرد عشان يقنعها . . وإتجوزوا وسافروا أوروبا وهي منتظمة في جلسات العلاج الطبيعى بتاعتها دلوقتى . . . إدعيلها-
تنفست فريدة الصعداء أخيرًا، كانت تنتنظر تلك النهاية السعيدة التي ظنت أنها لا تتواجد إلا بالأساطير والأفلام.
قالت فريدة عقب إنهاء كريم حديثه:
--كلنا محتاجين شخص يحبنا زى ما أحنا . . يحب روحنا قبل أي شيء . . شخص ميحاولش يغير فينا ويشكلنا . . لكن من الواضح إن إحتياجنا شيء والواقع شيء تانى-.
أشار كريم للنادل طالبًا الحساب وقال باهتمام بعد أن لمح ساعته:
--هنقوم بقى عشان نلحق فرح-.
طأطأت فريدة رأسها بالإيجاب، وبداخلها تساؤلات لا تكفيها ساعات طويلة لطرحها.
همَ الطرفان بالنهوض خارج الكافية، فتح كريم باب السيارة بطريقة راقية للغاية لتدخل فريدة مبتسمة، انطلق كريم لوجهته متصلًا بالسائق فاطمئن أنهما سيصلان قبل فرح بعدة دقائق.
مر كريم بطريقه على أحد متاجر الزهور فاشترى باقة ورد أقل ما يقال عنها إنها راحة للأعين.
--أكيد فرح بتحب الورد!-
قالها وهو يدلف داخل سيارته مرة أخرى واضعًا باقة الزهور أمامه، ابتسمت فريدة:

--أكيد مفيش بنت مبتحبش الورد . . الورد ده أكتر حاجة بتشبه البنت . . طول ما إحنا مهتمين بيه هنلاقى منه شكل وريحة جميلة . . و لما بنهمله بيدبل . . الورد ليه أشكال وألوان كتير زيه زى البنات لكن في النهاية سر جماله في الاهتمام بيه-.

أعجب كريم كثيراً من طريقة تحليلها للأمر، وصل كريم إلى البوابة الرئيسية وجلس دقائق منتظرًا وصول (سالم) -السائق -، بالفعل لمح وصولهما فترك سيارته وخرج منها هو وفريدة لاستقبال فرح، مازالت فريدة تشعر أنها غريبة، لا يراودها أي شعور تجاه كريم إطلاقًا وتعلم أنه إحساس متبادل لكن تشعر بارتياح لهذا الصديق الغريب.

نزل السائق ليفتح باب السيارة لفرح الجالسة بالخلف، لكن كعادتها أدخلت الجميع في نوبة ضحك عندما تركت الباب الذي فتحه لها السائق وخرجت من الباب المقابل له قائلة بوقار مصطنع:

--خلاص يا سمسم أقفل الباب اللى إنت فاتحه ده أنا نزلت خلاص-.

وعلى الرغم دهشة السائق من الموقف إلا أنه لم يقاوم ابتسامة ظهرت على وجهه أخيراً.

نظر كريم إلى فريدة قائلًا:

--إلحقى سالم بقى سمسم-.

--والله دي مجنونة أنا مش عارف إنت ليه طاوعتها بس-.

وصلت فرح لتقف في مواجهتهما مباشرة:

--معاكوا فلوس ولا أحاسب أنا-.

تقدم كريم ف صمت لقطع تذاكر الدخول مشيراً لسالم بالعودة، يكاد يجزم أن هذه الإنسانة تتصنع السعادة، لا يتخيل كيف لها أن تكون بهذا المرح

وهي تعلم أنه لم يتبق الكثير، لا ينكر أنه شك ولو للحظة في التشخيص الذي وصفته فريدة له، شك أن يكون مجرد تهويل لتبرير تركها السريع للعمل لكن سرعان ما اختفت الشكوك عندما أصبح على مقربة من حياتهما، عندما كان يلاحظ حالة فريدة وهي تتحدث عنها وكأن فقدان فرح أصبح أمر حتمي، تتحدث كأم فقدت كل أطفالها أمام عينيها.

أصبحت فرح مثل أعلى لـ كريم، فعلى الرغم أنه لم يتحدث إليها سوى بعض الدقائق إلا أنه تعلم منها الكثير، تعلم منها الحياة كما يجب أن تكون، تعلم الاستمتاع بالحياة حتى وإن تبقى منها القليل، تعلم الصبر والرضا بكل شيء.

تجاوزت الساعة السادسة مساءً، الإزدحام عم الأنحاء، كل هؤلاء البشر يحاولون الاستمتاع بحياتهم المنفلتة منهم منذ عقود ولن نزايد إن قلنا قرابة القرن من الزمان.

ليلة كانت مميزة على الثلاثي؛ كريم لا يذكر متى أخر مرة أخذ بها وقت للراحة من العمل، لا يذكر متى كانت أخر ضحكة خرجت من قلبه بالفعل دون تصنع.

أما فريدة، على الرغم من علامات الاستفهام الموضوعة على موقف كريم ومساعدته لهما إلا أنها كانت سعيدة لرؤية فرح بتلك الحالة.

وأخيرًا فرح، الطفلة الراشدة، كان عمرها شيء وطفولتها التي تعيشها الآن شيء مختلف تمامًا أخرجت روح الطفلة من داخلها، فكانت كالطفل ذي الست سنوات، مع كل لعبة تبدأ بها ترتسم على وجهها سعادة فوق سعادتها.

ليلة كانت محور تغيير حياة الجميع، ليلة استمرت فعالياتها لساعات قبل

أن يعيد كريم كلًا من الفتاتين لبيتيهما.

ليتنا نستطيع إيقاف الوقت عند تلك الأوقات المميزة؛ ليته يبطئ قليلًا في لحظات سعادتنا كما يميتنا ببطءٍ في لحظات الحزن.

دائمًا نفقدهم عندما تتسلل لنا
رهبة الخوف من فقدانهم . .

(٢)

داعبت أشعة المصباح الكهربائي الخافتة عينيه الذابلتين، عينان ترك بهما الزمان أثره، وتسلل الليل أسفلهما، بقت في رأسه فقط شعيرات معدودة بيضاء توحي بعمره الذي جاوز الستين قليلًا، لكن كل تلك السنوات لم تكن مشكلتها الكبرى في بعض الملامح التي أضفتها لوجهه لكن المشكلة بتلك الذكريات الجاثمة عليه، في ماضٍ يتمنى أن يجد له تفسير، وفي حاضر بالكاد يعيشه، وفي مستقبل غير متوقَع القدوم من الأساس لكن كل هذا جعل منه عنصر الخبرة للجميع، صاحب الرأي السديد دائمًا.

تذكر تطور مراحل حياته من البداية إلى أن أصبح الكهل الذي هو عليه الآن لا يستطيع أن يبرح مكانه، لا نختار أقدارنا بالفعل بل هي من تختارنا.

كلمات تحدث بها عقله المسكين، عقل ينازع الماضي وقلب فقد وظائفه إلا من نبضات بائسة تدل أن الجسد على قيد الحياة، يفتقد أيام الماضي، الجامعة التي كانت كجبل يطبق على أنفاسه يتمنى أن تنتهي بأسرع وقت، يتذكر جيدًا أعوامه بتلك المباني وسنوات التعليم التي تخطت الستة عشر عامًا، لا يذكر الآن منهما شيء سوى - أن الثورة العرابية قام بها أحمد عرابى- و -أن سعد زغلول تزوج من صفية -.

يذكر أيضًا ثورة المصريين وما تبعها من سنوات عجاف إلى أن تحسن الأمر بصورة لم يكن أكثر المتفائلين يتوقعها.

مرحبًا بالعمر الذي لا نصادق فيه إلا ذكرياتنا، مرحبًا بالذكريات التي تتمكن منا عامًا بعد عام إلى أن نصبح مجرد ذكرى متحركة فقط لا أكثر.

أدار مقلتيه إلى الجوار، لا يصدق أن كل تلك الأرجاء كانت تدب بها الحياة يومًا، وتتعالى في أنحائها الضحكات، لكنها الآن أصبحت بقايا . . . بقايا حياة . . . بقايا ذكريـات.

لا يصدق سرعة العمر الذي نظنه طويل فيسرقنا بغتة، مشوار طويل نسير فيه دائمًا لنلاقي من نلاقي ونفقد من نفقد، مشاعر متداخلة جعلت منه تمثال الشمع البشري الذي هو عليه الآن في نهاية المطاف.

هل توفرت لنا يومًا القدرة على الاختيار؟! حتى وإن حدث ذلك، سنختار نفس الأحداث والظروف التي مررنا بها، سنختار نفس هؤلاء الأشخاص الذين لم نرض عن وجودهم يومًا.

منذ نعومة أظافرنا تتدفق الأحلام على خاطرنا، حلم التخرج، حلم العمل، حلم الثراء، حلم الزواج وغيرها من الأحلام إلا أننا ننسى (حُلم الحياة)، يخال لنا أن حلم الحياة ينبع من كوننا على قيد الحياة، لكن في الحقيقة مفهومه أكبر من ذلك بكثير، حلم الحياة هو طيف افتقده الكثير في السعي وراء أحلام تابعة له في نهاية الأمر.

كل هذه المشاهد التي مرت على ذاكرته لم تكن تساوي أي شيء أمام ذكراه الكبرى وحب حياته الأول، المرأة الاستثنائية التي لا تمر في حياتنا إلا مرة واحدة، مرة واحدة فقط إن كنا محظوظين.

*****

كان اتصال بعد منتصف الليل بساعات كافي تمامًا لإيقاظ فريدة من نومها، إفاقتها من طوفان الأحلام المتداخل التي لم تتذكر أيًا من مشاهدها أبدًا.

--إنتى نايمة يا فريدة؟!-

--لا الساعة تلاتة الفجر بفكر أقوم أطبخ . . عاوزه منى إيه يا فرح؟-

صمت اجتاح المكالمة لثوانٍ قبل أن ترد فرح قائلة:

--أنا آسفة، بكره على الساعة عشرة لو فاضية هقابلك لأني عاوزة أقولك حاجة مهمة بجد-.

تعلم فريدة جيدًا أن فرح الآن ليست بأفضل حالاتها، حاولت سؤالها عن السبب لكن فرح أصرت على لقائها.

اتفق الطرفان على المكان، لتغلق بعدها فرح الهاتف فجأة في وجه صديقتها، أثارت حركتها الأخيرة غضب فريدة فمهما كان السبب لماذا تفعل ذلك، بعد تفكير طويل في العام الذي كان بمثابة تغيير مسار في حياتها غلبها النوم، نوم عميق داهمها لم تحظ بمثله منذ أشهر طويلة.

*****

ارتفعت الشمس في عنان السماء، يوم جديد قد يكون مختلف عن الأيام قبله ومؤكد أنه سيشببها إلى حد كبير.

سمع كريم صوت رنين أدوات معدنية داخل المطبخ، الساعة الآن الثامنة صباحًا، تحرك كريم ببطء وهدوء شديدين، لأول مرة منذ خمسة أعوام يجد والدته بالمنزل بهذا الوقت، دائمًا ما كانت تخرج من البيت باكرًا، في لحظات شروق الشمس الأولى بحجة أنها سيدة أعمال ويجب أن تتواجد قبل كل العاملين معها.

سنوات كانت تحافظ على عملها ومظهرها الاجتماعي أكثر من حفاظها على أي شيء، لكن لعلها تلك المرة فهمت حق بيتها عليها:

--صباح الخير يا ماما-.

--صباح الخير يا كريم . . مالك يا حبيبى خاسس ليه كده؟!-
خرجت ضحكة ساخرة من كريم دون عمد فهو في تلك الأيام زاد بعض الكيلوجرامات لكنها بالتأكيد تتحدث عن صورة رسمتها له منذ أعوام.
--الشغل بقى يا ماما . . قوليلى بس إيه التغيير ده وبتعملى أكل من الصبح-.
ابتسمت والدته قائلة:
--مش تباركلى . . أنا بكرة مسافرة باريس كام إسبوع-.
رفع كريم حاجبه مندهشًا من درجة عدم الإحساس بالوقت، تتحدث عن الأسابيع كأنها دقائق.
--هتوحشنى يا كيمو والله-.
قالتها وقد أحكمت يديها على خديه كأنها تداعب طفلًا لم يتجاوز الخمس سنوات.
--ظلمتك . . كان نفسى تكونى إتغيرتى فعلا بس أثبتيلى النهارده إنى أول يتيم في الدنيا أهله عايشين-.
قالها كريم في سره وهو يشيح بوجهه بعيدًا عنها، ثم وجه الأخير كلامه لها:
--أنا طالع ألبس ونازل الشغل-.
--مش هتفطر معايا طيب !!-
توقف كريم، قائلًا بسخرية مختلطة بحنق شديد:
--هانت . . لما ترجعى من باريس بقى-.
أنهى كريم ارتداء ملابسه وخرج على الفور من البيت قائلًا بصوتٍ عالٍ:
--ترجعى بالسلامة من باريس-.
لم يكن أمام والدته إلا جزء من الثانية قبل أن يغلق الباب، دلف إلى سيارته

منطلقًا إلى الشركة.
ساعات من التفكير فتكت بعقل كريم، يفكر في إنشاء عمل خاص به، يفكر في الاستقلال بحياته عن الجميع، أخرج من الدرج بعض الصور القديمة التي جمعته بــ(هشام) صديق عمره، ابتسم وهو يتذكر أيام دراستهما الأولى معًا وكم كانا يكرهان رؤية بعضهما البعض في البداية إلى أن تحولت العلاقة بينهما لأكثر من إخوة.

--وحشتنى يا هشام جداً . . مفتقدك يا أخى بجد.-

زفر بعد أن قالها بضيق وقام بالضغط على الزر الموجود بجانبه، لحظات ودخلت تلك الفتاة التي أكملت العمل بعد لمياء والذي كان من المقرر أن تستلمه فريدة قبل استقالتها.
في الواقع لم يكن كريم يتذكر اسمها من الإساس، أشار لها كريم بالجلوس فتقدمت نحو الكرسي بخطوات واثقة فجلست وهي تنظر مباشرة تجاه عين كريم لم تكن ملامحها ظاهرة إطلاقًا من مستحضرات التجميل التي جعلت من بشرة وجهها لون مختلف عن يدها، فقال و هو يحاول أن يبعد عينيه عن هذا المشهد المثير للاشمئزاز:

- . . . قولتيلى كان اسمك إيه؟- Sorry-

ردت بثقة فاقت توقعات كريم:

--رضوى . . كل المعلومات عنى أكيد هتلاقيها في الـ(CV)-

ابتسم كريم من ردها، حاول تهدئة توتر الأعصاب المخيمة على اللقاء قائلًا:

--طيب يا رضوى أنا كريم . . وبعدين إحنا بندردش سوا يعنى حتى لو عارف عنك حاجة فحابب أسمعها منك شخصيًا.-

ابتسامة رضوى كانت تعقيب كاف على جملة كريم، فشرعت في حديث

طويل عن نفسها ومؤهلاتها.

*****

كالعادة وصلت فريدة إلى مقصدها قبل فرح ببضع دقائق، اعتادت على انتظار فرح دائمًا فأصبح الأمر لا يمثل لها أي مشاكل.
كانت تفكر في صوت فرح المختنق في الساعات الأولى من اليوم، ما سبب التغيير المفاجئ يا ترى.
وجدت فريدة اتصال قادم من صديقتها:
--إنتى فين يا فريدة-.
--أنا واقفة عند باب الكافيه-.
--خلاص شوفتك هعدى الطريق وأجيلك-.
في لحظة توقف عندها كل شيء، لحظة فقدت فيها فرح القدرة على النطق مغمضة عينيها عن القدر الذي أصبح واقع لا مفر منه.
صدمت سيارة مسرعة جسد فرح الهزيل والذي تحول بفعل المرض إلى وردة ذابلة، صدمة حولت تلك الوردة إلى رماد متطاير، سقطت فرح على بعد أمتار قليلة ناتج الصدمة فلم يكن هناك زحام مما ساعد أصحاب السيارات من القيادة بسرعات عالية.
هرعت فريدة كالمجنونة إلى صديقتها، أخذت تنادي باسمها حتى لاحظ الجميع علاقتهما ووجود سابق معرفة بينهما، جلست فريدة أرضًا غير مكترثة بأي شيء، تخط الدموع خطوطًا سوداء على وجهها وهي تحيط جسد صديقتها المرتعش بذراعيها.
أخذت فريدة تجذب فرح من يدها محاولة مساعدتها لتنهض ولم يكن على لسانها سوى:

--قومى يا فرح نروح سوا . . أنا عارفة إنك كويسة صح-.
جسد هامد يخلو من كل شيء سوى حركة أصابع بعناء، فتحت فرح يد فريدة ورسمت بأصابعها التي ملأتها الدماء دائرة أشبه بالقلب، ابتسمت فريدة وسط دموعها وقد فهمت رسالة صديقتها.
--يا فرح أنا ماليش غيرك . . أرجوكى متخوفينيش من الدنيا وقومى . . أنا عايشة بوجودك يا فرح-.
لم تقو فرح على الرد، فقط ابتسامة خفيفة على شفتيها معبرة عن امتنانها لسماع تلك الجملة من صديقتها قبل وداعهما، حركت شفتيها بكلمات أشبه بنطق الشهادتين انقسم على إثرها قلب فريدة نصفين، لا تكاد تصدق أنها قد تكون النهاية، أسلمت الروح إلى خالقها وسط نحيب فريدة المتواصل.
اقشعرت الجلود واضطربت الحواس لهذا المشهد، لحظات كان الجميع يرنو إلى الدماء المتناثرة هنا وهناك.
أحتضنت فريدة جثتها فطبعت كل دمائها على ملابس فريدة، في أثناء نحيبها كانت تثور بكلمات لم يفهم منها سوى -لوحدى يا فرح-، لحظات من النواح وسط عيون الجميع التي تحدق بهما في تأثر شديد.
وصلت سيارة الإسعاف لتحمل الفقيدة بعد عناء تخليص جثتها من يد صديقتها، ساعات طويلة للغاية عليها، لا تستطيع تخيل الحياة في غياب فرح، وصل الجميع إلى المشفى، أنهى الأطباء الإجراءات اللازمة فخرج أحدهم إلى فريدة قائلًا:
--البقاء لله، حضرتك أختها صح؟-
انفطر قلب فريدة أكثر بعد سماع تلك الجملة، قالت هامسة:
--أنا أكتر من أختها، مفيش أمل يا دكتور صح؟-

سرت قشعريرة في جسد الطبيب بعدما شعر بمدى تأثر فريدة على فقيدتها، كم رأى من حالات لكنه لم ير هذا الألم ولم يسمعه في حديث أحد من ذي قبل.

--كده باقى إجراءات الدفن، ويا ريت تكلمى أهلها علشان وجودهم ضرورى جداً-.

--حاضر هكلمهم دلوقتى . . دكتور-.

توقف الطبيب فجأة مستمعًا إلى ما تود قوله، فهو يتوقعه تمامًا.

--نعم-.

--ممكن أدخل أشوفها لأخر مرة في حياتي-.

لم يستطع الطبيب رفض طلبها لكن طلب منها استدعاء أهل فرح قبل أي شيء إلى هنا.

وجدت فريدة رقم أحمد شقيق فرح الأكبر، قررت بشيء من الحكمة أن تخبره هو بالأمر فوالديها لن يتحملا صدمة الخبر.

--أنا فريدة يا أحمد-.

لم يكن من المعتاد أن يستقبل أحمد اتصالًا من فريدة إلا لأشد الظروف أو هكذا اعتاد الجميع.

--إنتى وفرح كويسين يا فريدة؟-

تحولت دموع فريدة إلى بكاء مسموع، بكاء كان أحمد أذكى من تجاهل سببه:

--فرح مالها يا فريدة؟!-

حاولت تهدئة ذعرها وقامت بوصف العنوان له وأنهت المكالمة سريعًا دون انتظار رد.

اتجهت إلى الغرفة المتواجد بها جثة فرح، لم يمنعها أي شخص من طاقم التمريض المتواجد بالغرفة أو خارجها، فمن الواضح أن الطبيب أخبرهم بالسماح لها بذلك، جلست بجانب فرح وقد ظهر عليها التماسك المصطنع، نظرت لتلك الجثة الهامدة التي لا يبدو منها شيء، ملائة غطتها من الرأس إلى القدمين.

--فاكرة لما وعدتينى إنك تفضلى جمبى طول العُمر . . ليه بتبعدى عنى دلوقتى . . ده أكتر وقت محتاجه ليكى فيه . . فضلت أقول السرطان هياخدك منى طلع القدر مخبى لينا كتير أوى يا فرح . . طيب هسألك سؤال . . مين هيفرحنى ويضكنى غيرك؟-

تحول حديث فريدة إلى كلمات مختنقة قائلة:

--مش إنتى وعدتينى أول بنت تسميها فريدة طيب . . ردى عليا يا فرح طيب . . ده إنتى كنتى بتفهمينى من غير كلام-.

نظرت فريدة إلى يدها التي رسمت عليها فرح قلب بدمائها وقد محيت أغلب أجزاءه، دماء فرح مازالت تملأ ثيابها، تحولت دمعاتها إلى بكاء هستيري يقطع نياط القلوب، بدا التأثر على كل من هم بالغرفة، تحول بكائها إلي شهقات متتابعة خلفت ارتعاش شديد وكأنها لمست سلك كهربائي، أسرعت إحدى الممرضات بإعطائها حقنة مهدئة جعلتها تسترخى قليلًا.

دقائق قليلة بعدها أعلنت عن وصول عائلة الفقيدة يتقدمهم أحمد شقيق فرح الوحيد، عجت الأنحاء بالبكاء والصرخات، لا أحد يتخيل أن هذا الجسد الهامد كان مصدر انبعاث الحياة في كل تلك الأرواح.

*****

أنهى كريم لقاؤه مع رضوى وبعدها قام بالاتصال على حمزة من هاتفه

الشخصي ليصل لمكتبه مباشرة، ظل الطرفان لدقائق جالسين في صمت:
--يا بنى هو أنا أبو البنت اللى هتخطبها . . ساكت ليـه؟-
--إتنيل ونبى يا حمزة و بطل هزار . . بفكر قبل أي حاجة أروح أعمل عمرة-.
--يعنى هتسافر السعودية؟-
نظر له كريم وقد تغيرت ملامحه لغضب واضح:
--بطل هزار وغباء . . الإتنين بطلهم وإرحمنى-.
--ليه يا كريم بس-.
لم تمح تلك الكسرات المرتسمة على جبهة كريم قائلًا:
--ما أكيد مش هعمل عمرة في دبي يعني-.
--تصدق صح-.
--بقولك إيه يا حمزة-.
أوقف حمزة حديثة واضعًا باطن يده في وجهه:
--أنا طالع بره بكرامتى-.
قالها حمزة تلك المرة دون أن ينتظر طرده كالعادة من كريم.
--جدع يا حمزة . . غور-.
خرج حمزة من الغرفة فتحول غضب كريم لابتسامة على أسلوب حمزة الذي طالما ذكره بفرح أو دعنا نقول أن فرح هي من تذكره بصديقه.
حاول الاتصال بفريدة مرارًا للحديث معها بشأن سفر فرح للعلاج بالخارج، كم يتطلع للاطمئنان عليها، كم تعجبه تلك الفتاة التي لم تلوثها الحياة بشيء.
حاول الاتصال مرة أخرى بـ فريدة، لكن كان الرد حليفه تلك المرة:

--مبترديش ليه يا فريدة-.
--أنا مش فريدة . . الآنسة اللى حضرتك بتكلمها جت المستشفى مع واحدة صاحبتها-.
صُدم كريم من الجملة الأخير فأسرع قائلًا:
--هم كويسين؟-
--للأسف يا فندم صاحبتها ماتت في حادثة-.
لم يستطع السيطرة على ارتجاف أصابعه عندما سمع تلك العبارة، ترك الهاتف على مكتبه دون إنهاء المكالمة، تلقى الخبر كطعنة مباشرة إلى القلب.
اتصل مرة أخرى وهو في حالة لا يحسد عليها أبدًا ليتعرف على اسم المستشفى، التقط سترته وخرج مسرعًا غير منتبه لنداء والده.
بعد حوالي نصف ساعة من القيادة وسط ازدحام القاهرة المعتاد وقت الظهيرة وصل كريم إلى مستشفى دار الحكمة، استفسر عن مكان تواجدهم في الاستعلامات واتجه لهم مباشرة.
في الرواق لمح كريم فريدة فهرول تجاهها للاطمئنان عليها لكنه تراجع عدة خطوات للخلف عندما وجد الدماء تغطي ملابسها بشكل مُدمر للأعصاب.
--فرح ماتت يا كريم . . ملحقناش نعالجها شوفت-.
لا يذكر كريم أخر دمعة تسللت من عينه لكنها الآن بطعم الفقد المرير، حاول تهدئة فريدة بشتى الطرق لكن لم تجد أي محاولة نفعًا وكيف ستهدأ وهو من الأساس يتمزق من الداخل على فقدها أيضًا.
ساعات طويلة مرت كحقبة زمنية طويلة، لا تذكر فريدة لحظة أصعب من وفاة صديقتها أمام عينيها سوى تلك اللحظة التي شاهدتها وهي تُحمل لداخل القبر، أيقنت أنها النظرات الأخيرة أو ما يسمونها نظرات الوداع، كم

تود أن تدخل معها هذا القبر الآن ولا تتركها، هكذا كان عهدهم يومًا ما -مهما حدث-.

بدأت الشمس تذهب إلى مغربها، كما ذهبت شمس الحياة مع فرح، وكأن الشمس قد أعلنت الحداد على روحها أيضًا.

بدأت مراسم العزاء في بيت الفقيدة والذي لم يكن به مكان لموطئ قدم في الداخل أو بالخارج، حشد عظيم دل على مكانة فرح في كل القلوب، أخذت فريدة مكانها بجانب والدة فرح، كانت تسترق النظر بين اللحظة والأخرى إلى كفها الذي شهد أخر إشارات فرح لها إشارة كانت تعني -سنظل في قلوب بعضنا إلى الأبد-، كلما نظرت إليها والدة فرح أجهشت بالبكاء، دائمًا ما كانت فريدة تذكرها بابنتها، قيل لهما ذات يوم من أحد الأقارب أنهما أصبحتا تشبهان بعضهما البعض من شدة صداقتهما وترابطهما.

أما عن المكان المخصص للرجال جلس كريم بجوار أحمد شقيق فرح، كان الأخير يمد يده بين الفينة والأخرى لمسح دموعه وسط حسرة الجميع.

كان كريم يعلم جيدًا مكانة فرح في قلوبهم، فقد عرفها لأيام وتعلق بها لتلك الدرجة فما شأن من عاش إلى جوارها عُمرًا كاملًا.

خيمت رائحة الموت على المكان بأكمله، جلس الجميع في تجهم وكأن (فرح) كانت ابنة وشقيقة كل شخص من الحضور.

*****

اعتصر الألم قلب فريدة لمدة عـام، عامٌ فقدت فيه كل معاني الحياة، أصبحت روح بجسد هزيل أو يمكننا القول بلا جسد، فقدت مع فرح كل معاني الفرح، أصبحت تحسب الأيام بالدقائق على أمل لقاء فرح في القريب.

أما عن كريم فلم يكن أفضل منها كثيرًا، عام كان الأسوء في حياته على

الإطلاق، تراجعت مؤشرات عمله بشكل ملحوظ، أصبح دائم الشرود، يتناول المنبهات والكافايين بشكل مبالغ فيه، بات ينسى أمورًا لا تحتمل النسيان ومقابلات لا تحتمل التأخي، كم يتمنى أن تعود فرح لو لدقيقة واحدة، اشتاق لابتسامة كانت هي الوحيدة القادرة على إخراجها منه في أشد لحظات حزنه.

لشَد ما افتقدها الجميع، كانت بمثابة روح تلك الحياة بالنسبة لهم جميعًا، خلفت فرح بعدها جراح في قلوب الجميع لم ولن تندمل مهما مرت الأيام.

إنه القدر، أيام مرت على تفكيرهما وترتيبهما لمواجهة مرض فرح، لكن الله أعطاهما درسًا في كيفية معايشة كل يوم وكأنه الأخير، كلمات القدر كانت مغايرة تمامًا لظنونهما.

كانت الساعة الحادية عشر مساءً عندما أنهت فريدة صلاتها وجزءها اليومي الذي خصصته من القرآن الكريم لروح صديقتها، لن تنسى ذلك ولو ليوم واحد طوال هذا العام، سمعت صوت خطوات تقترب من باب غرفتها، لاحظت يد ميزتها بأنها لوالدتها تتحسس الجدار وسط الظلام الموجود حتى ضغطت على قابس الكهرباء.

--فاضية يا حبيبتى؟-

كانت فريدة تخشى من هذا السؤال دائمًا، أجابت في تردد يصحبه حذر:

--على حسب يا ماما-.

ابتلعت والدتها جملتها التي لا معنى لها قائلة:

--إنتى عارفة إنى أكتر واحدة بخاف عليكى في الدنيا، كفاية أوى سنة كاملة حابسة نفسك في أوضتك يا فريدة-.

--بدون مقدمات يا ماما-.

جلست والدتها بجانبها قائلة:

--فيه عريس متقد. . -.

--تـانى يا ماما . . يا ناس إرحمونى مش كده-.

تحول لين والدتها لعنف واضح بالحديث:

--إسمعى يا فريدة كفاية أوى لغاية كده . . ساكتين وبنقول بتمر بظروف صعبة بس مش هنسكت عليكى أكتر من كده . . العريس هيجى يوم الأربع بالليل وهنقرا الفاتحة كمان-.

رفعت فريدة حاجبها دهشة:

--إيه ده ده إتوافق عليه كمان . . والله-.

تزامن قسمها مع اقتحام والدها لغرفتها فصمتت في الحال، وجه والدها لم يكن يبشر بأي خير:

--إنتى مخبية علينا حاجة يا بت . . بقالك شهور بترفضى أي حد من غير ما تشوفيه . . خديها أكشفى عليها-.

قال الجملة الأخيرة موجه كلماته لوالدتها والغضب ينتشر في قسمات وجهه، على الرغم من أنها كانت صاحبة الرأي الأول والأخير بالمنزل إلا أنها انصاعت لحديثه تلك المرة، فقالت ممتصة غضبه:

--إهدى بس يا أسعد . . فريدة متأثرة بس بموت صاحبتها من مدة . . لكن هتعمل اللى إنت عاوزه-.

خرج والداها من الغرفة تاركين خلفهما عينين دامعتين، كم تشتاق إلى فرح في هذا الوقت تحديدًا، كم يؤلمها كلمات والدها المهينة لأخلاقها دائمًا، كم تكره شعورها وكأنها سلعة تباع لمن يقدم أكثر قدر من تلك الأوراق الملونة ذات الرائحة القذرة.

اتصلت على الفور بأكثر من تواجد معها هذا العام، الصديق المقرب (كريم)، كان العام كفيل تمامًا لكي يتشاركا نفس الأحزان، تبادلا الحديث عن حياتهما ولا سيما الحديث عن حياة فريدة إلى جانب فرح:

--إزيك يا فريدة؟-

إنه كريم كما اعتادت عليه تمامًا، وكأنه يشعر باتصالها قبل أي رنين فيرد مباشرة:

--كريم عاوزة أتكلم معاك أوى . . أرجوك يا كريم-.

استشف كريم من صوتها المختنق وجود حدث لن تتحمل فريدة عواقبه:

--مالك يا فريدة ؟ . . بابا وماما بخير-.

--أنا اللى مش بخير يا كريم . . عاوزين يبيعونى-.

كان كريم يشعر بألمها جيدًا، يعرف طباع والديها وأن تلك المرة لا رجوع عن قرارهما فيكفي ما سبق.

--طيب يا فريدة نامي دلوقتى وبكره ربنا يحلها-.

--أنا لازم أشوفك-.

استطاع كريم تهدئتها بعد عناء، اتفق معها في النهاية على رؤيتها غدًا الساعة الثانية مساءً.

-حسبي الله ونعم الوكيل- . . كانت تلك الجملة هي التعقيب الوحيد من كريم بعدما أنهى مكالمته مع فريدة.

*****

وصل كريم ليجد فريدة قد سبقته إلى قبلتهما، أشار لها من بعيد وتقدم نحوها خالعًا معطفه واضعًا إياه على ظهر الكرسي:

--جاية من بدرى؟-

رفعت فريدة رأسها وهي مازالت ترتدي تلك النظارة الشمسية لإخفاء عينيها المجهدتين تفهم كريم ذلك فخلع نظارته قائلًا وهو يشير لعينيه:

--بصى الحال من بعضه-.

انفرجت أسارير فريدة، كم تذكره تلك الابتسامة بفرح فأردف:

--إتأخرت عليكى-.

ردت بنفس الابتسامة:

--لا يا كريم . . هنعـــمل إيه في . . -.

رفع كريم باطن يده في وجهها لإيقاف حديثها مشيرًا للنادل:

--إسبريسو دبل بعد إذنك-.

--تحت أمرك-.

أعاد نظره إلى فريدة التي كانت مندهشة من هذا الهدوء الذي يسيطر عليه، فاجأها كريم وسط شرودها:

--إحنا نشرب الإسبريسو ونتكلم براحتنا بقى-.

استشاطت فريدة غضبًا قائلة:

--إنت جاى تهزر يا كريم-.

--هو إنتى مش واثقة فيا؟-

ابتسمت فريدة على ثقة كريم المبالغ فيها، فأردف:

--أصل محسوبك لف كتير وشاف كتير فالحلول بتيجى على بالى قبل الإسبريسو ما يجى-.

قالها وهو يمزح مع النادل الذي وضع أمامه فنجان الإسبريسو وانصرف مسرعًا:

--كريم إنت عاوز تقول إيه؟-

أنزل كريم الفنجان عن فيه بشيء من الثقة قائلًا:
--إيه رأيك نخليهم يعملوا اللى هم عاوزينه-.
اندهشت فريدة فلم تكن تتوقع أن تلك الجملة ستكون نتيجة الصبر الطويل السابق فهمت تجذب حقيبتها لتنصرف، استوقفها كريم بحزم:
--ممكن تهدى شوية يا فريدة . . أنا أه كنت بهزر عشان أهدى أعصابك بس واضح إنك متعصبة أوى . . لو مكنتيش واثقة إنى هحلهالك مكنتيش كلمتينى يا فريدة بس إنتى عارفة إنى هلاقى حل-.

نظرت له قائلة:
--و فين الحل ده يا كريم إنت من ساعة ما جيت وإنت بتهزر-.
أشار لها كريم بالجلوس قائلًا:
--كنت هقولك إننا هنخليهم يعملوا اللى هم عاوزينه بالطريقة اللى إحنا عاوزينها-.
لم تفهم فريدة جملته الأخيرة:
--إزاى يعنى ؟!-
أسند كريم ظهره للخلف قائلًا بابتسامة خبيثة:
--إسمعى بقى يا ستى . . . -.

لن تحصل على غد أفضل ما دمت
تفكر في الأمس

مورجان فريمان

(٣)

أتى اليوم المرتقب، يوم الأربعاء، الساعة الثامنة مساءً، ارتدت فريدة أحد الفساتين التي اشترتها مع صديقتها فرح منذ أكثر من عام، فستان أسود قاتم مرصع ببعض النقاط اللامعة والتي أعطاها مظهر فنانات هوليوود على السجادة الحمراء، انحدرت بعض العبرات من عينيها عندما تذكرت جزء من تفاصيل هذا اليوم الذي قضته كاملًا مع فرح، تعلم أن اليوم ليس إلا مسرحية سخيفة لإرضاء والديها، لكنها تفتقد وجود فرح معها في هذا اليوم لا شك، دائمًا كانت تطمئن لمجرد حضورها، الآن يجب عليها تنفيذ خطتها مع كريم دون أي خطأ.

دوى رنين جرس الباب لترى من الباب المفتوح حتى منتصفه والدها ووالدتها وهما يتجهان نحو الباب راسمين ابتسامة فشلت في تفسيرها أو وضع مسمى لها.

فُتح الباب ليدلف منه الشاب المُنتظر من قبل الوالدين وهو يحمل كم لا بأس به من الهدايا والصناديق المغلفة بأوراق ملونة، بعد تحية حارة وترحيب يمكن أن يوصف بالمبالغة جلب الشاب الذي أتى وحيدًا دون أي طرف من أهله لكن لم تكن تلك عقبة عند أهل فريدة.

--منور يا كريم يا ابني والله-.

قالها الأب في سعادة تتحدث عنها ابتسامته،

--بنورك يا عمي، أنا عارف إن الخطوة متأخرة لكن بعتذر أنا لسه راجع من السفر اليومين دول-.

--يا حبيبي ولا يهمك . . فريدة كلمتنا عنك كتير . . وواضح إن عندها حق في كل كلمة قالتها-.

لشد ما كره كريم المبالغة بأي شيء، كره تلك المبالغة التي يراها بأعينهما، ففضل الدخول مباشرة لصلب الحديث:

--أنا شاري بنتكم فريدة . . وأي طلبات هتشوفوها أنا تحت أمركم فيها-.

اعتدل الأب في جلسته قائلًا:

--أنا مش هطلب إلا سعادة بنتى . . إحنا بنشترى راجل . . و بعدين إحنا عرفنا إنك ابن حسين المهدي . . عيلة تشرف بجد وتتناسب-.

دلفت فريدة إليهم على تلك الجملة فلم تستطع منع ابتسامة وجهتها لكريم حملت الكثير.

أردف والدها قائلًا:

--صحيح يا كريم فين والدك ووالدتك؟-

--للأسف هم الإتنين مسافرين وهيرجعوا قريب بإذن الله . . لكن يا عمي إطمن هم على معرفة بكل شيء ومرحبين جداً . . إحنا هنلاقى ناس زيكو فين!-

--لا طبعا مش هتلاقى-

قالتها فريدة بشئ من السخرية التي تفهمها كريم مباشرة.

بعد حديث طويل وموافقتهم على كريم، حديث دام لساعتين اكتشف بهما كريم وفريدة قدرتهم الهائلة على التمثيل وإقناع الغير، دس كريم يديه في جيبه مخرجًا علبة زرقاء كان بداخلها خاتم ألماس حر، ازدادت فرحة

الوالدين على إثر رؤيته، بالطبع هذا هو الرجل المنشود.
--كلفت نفسك يا بني-.
قالتها والدتها وهي تمد يدها لتلتقط منه العلبة وقد كادت مقلتاها الخروج من شدة النظر له وتفحصه جيدًا.
--فريدة تستاهل كل خير الدنيا يا طنط-.
قالها بشيء من الجد وصل لقلب فريدة، جملة كانت خارج خطتهما تمامًا.
أردف كريم قائلًا:
--نقرا الفاتحة بقى!-.
بالفعل تمت قراءة الفاتحة وقدم الخاتم لفريدة لتلبسه في يدها اليسرى، لا تعلم لماذا شعرت بالفرحة على الرغم من أن كريم لا يمثل لها سوى أخ وصديق لن تصادفها الحياة بمثله مرة أخرى، لا تدري هل ينبغي أن تفرح بتلك اللحظة التي تتمناها أي فتاة، أم تحزن من هذا الفيلم الذي يلعبان أدواره إلى الآن بكل احتراف.
--أنا هقوم أعمل العشا . . أهو يبقى عيش وملح-.
قالتها والدتها وهي تنهض فأسرع كريم قائلًا:
--العيش والملح جاى جاى . . الوقت إتأخر فأستأذن أنا لكن بعد إذنكوا هعدى بكره الصبح أخد فريدة وننزل شوية-.
قالها وهو ينظر لفريدة فتلك أيضًا خطوة متفق عليها.
خرج كريم من المنزل بعد أن سلم على والدا فريدة وانتظر حتى يُغلق الباب فأخرج هاتفه مرسلًا رسالة اكتفى فيها بكلمة واحدة:
-Done-
ارتسمت ابتسامة على وجه فريدة عقب قرائتها لرسالة كريم، مازالت

تتسائل بداخلها لماذا يساعدها بهذا الشكل، لماذا يقحم نفسه في كل تلك المشاكل؟!، دلفت إلى غرفتها وجلست مستكينة على سريرها.

*****

--أنا مش فاهماك يا كريم-.

--لا أنا أعرف عنك إنك ذكية-.

--. . . . -

رشف كريم أخر قطرات في الفنجان قائلًا بكل هدوء وكأنه أعد كلامه منذ زمن بعيد بالفعل:

--بصى يا فريدة أهلك عاوزينك تتجوزي بأي طريقة وأي شكل . . لأنهم من ناحية شايفين إنك بتأخري الخطوة دي . . ثانيًا العريس المتقدملك مرتاح مادياً-.

نظرت لـه مبتسمة على طريقة كلامه المعتادة دائمًا ما يلجأ لتوضيح كل شيء بإشارات يده:

--مظبوط يا كريم، أنا بجد . . -.

قاطعها كريم:

--أنا هتقدملك!-.

قفزت فريدة من جلستها وقد فغرت فاها واتسعت عيناها من أثر الدهشة قائلة بعنف:

--إنت بتقول إيه، ده الحل يعنى-.

أشار لها كريم بهدوء لكي تجلس:

--فرجتى علينا الناس، فريدة إنتى أختي وصديقتى، واجبى إنى أكون جنبك . . وأوعى تفتكرى إنى بعمل ده لأى غرض أكتر من إنى أساعدك-.

شعرت فريدة بوقاحة رد فعلها على كلمات كريم السابقة:
--أنا آسفة . . بس . . -.
--مبسش . . العقد شريعة المتعاقدين، فلا يجوز نقضه ولا تعديله الا بإتفاق الطرفين، دي المادة رقم ١٤٧ من القانون المدني وبعتبرها قاعدة في حياتي سواء في البيزنس أو الحياة الشخصية-.
--ما شاء الله، دارس قانون كويس-.
ابتسم كريم مشيراً لها بسبابته:
--لاحظي إنك إنتى اللى بتهزرى، أسيبك وأقوم أمشى دلوقتى-.
تعالت ضحكاتها قائلة:
--أصل بصراحة شكلك فاهم يا نصه-.
--هي حصلت . . ده أنا كده هقوم أمشي وأسيبك تحاسبى كمان-.
--آسفين يا عم كريم كمل-.
استعاد كريم هدوءه:
--ده عهد علينا إنى هفضل كأخ وصديق معاكى لغاية ما تختارى شريك حياتك، وطبعاً هتعرفيه بس في الأخر وأنا هقابله شخصياً أفهمه كل حاجة، هفهمه إنى كنت بحافظ له على مراته-.
لم تجد فريدة كلام لتعبر به عن سعادتها بوجود كريم إلى جانبها، فقط اكتفت ببعض نظرات الشكر والعرفان له فأردف كريم:
--فريدة ده واجبى أنا مبعملش حاجة غريبة، ولاد الأصول بيقفوا جنب بعض، عارفة الغريب إيه؟-
أسرعت فريدة: -إيه؟-.
--الإنسان لازم يتطبع بالبيئة المحيطة له، يعنى تفكير أهلك بشكل عام لازم

تكونى إتطبعتى إنتى وأخواتك بجزء منه، لكن أنا متأكد إنك مختلفة عنهم تمامًا، خدتى منهم اسمهم بس-.

--تخيل إنت إتربيت في بيت شوفت مامتك هي صاحبة الكلمة وأب بشخصية ضعيفة . . تخيل أنا شوفت أختي وهي بتعيط في الكوشة لأنهم جوزوها لراجل قد بابا لمجرد فلوسه . . تخيل أهل شايفينك مصدر رزق مش أكتر . . سواء شغل بمرتب حلو أو عريس غني-.

من الواضح أن كلماتها لمست جزء في كريم، أو أثارت ما كان يتناساه لا يعلم متى تكونت الجمل ولا ترتب الكلام فانفجر قائلًا:

--أنا بقى لا بشوف أهلى ولا بيشوفونى . . إحنا يا بنتى أخر مرة إتجمعنا فيها كان من كام سنة . . إحنا مبنتجمعش إلا لو في عشا شغل برضو عشان نظهر إننا أسرة سعيدة ومتماسكة وهاى كلاس بعربياتها ولبسها . . عمرنا ما إتجمعنا عشان عاوزين نتجمع-.

ظهر التأثر على وجه فريدة، تناول الصمت من جلستهما كثيرًا كما تناول الحديث من قبل، حاولا كسر الصمت أكثر من مرة لكن من الواضح أن كلاهما متأثر بكلمات كريم الأخيرة:

--المهم أنا عندى شرط؟-

أومأت فريدة برأسها إيجابًا لاستقبال شرط كريم فأردف:

--هنحدد معاد مع والدك يوم الأربع . . وعرفيهم إنى موافق على كل شروطهم قبل ما أسمعها . . لكن تانى يوم الصبح أول حاجة هنعملها هي إننا هنزور قبر فرح . . إتفقنا؟-

هزت فريدة رأسها إيجابًا وقد تغلبت عليها دمعاتها متذكرة فرح، لطالما وعدا بعضهما البعض بالتواجد دائمًا إلى جانب بعضهما البعض، لاحظ كريم

تغير حالتها عقب سماعها جملته، دائمًا يفكر في فرح، يكاد يقسم أنها لو ظلت على قيد الحياة لتزوجها، يكفي أنها جعلت منه شخص أخر خلال أيام ودون تعامل مباشر معها، لقد أثرت فيه فرح شد التـأثر.
--بصي يا فريدة، فرح حصل ليها زى ما حصل لينا كلنا، لكن الفرق إنها إتدفنت أول ما ماتت، لكن إحنا بنموت وبيدفنونا بعدها بسنين، إحنا متنا من زمان يا فريدة، كل اللى قدامك دول ماتوا من زمان لولا بس حاجة حلوة صغيرة موجودة في حياة كل شخص فينا بنعيش عليها-.
قاطعته فريدة قبل أن يتعدى تلك النقطة قائلة:
--وإنت بقى إيه الحاجة الحلوة اللى عايش ليها-.
نظر لها قائلًا: -سارة!-.
استقبلت الاسم بتعجب، لقد كان جديدًا على مسامعها لكن من الواضح من نظرات كريم أنها ذات شأن بحياته، يكفي أنها في نظرة سبب حياة إلى الآن، لكن لا وقت للاستفسار عن سارة الآن، في تلك الأثناء أشار كريم للنادل طالبًا الحساب.

*****

كان رنين الهاتف كافيًا لتعود فريدة من شرودها، ابتسمت لأنها كانت توقن أنه كريم، لكن لم يكن يقينها في محله، كان (أحمد) هو المتصل، اعتاد أحمد منذ وفاة فرح على الاتصال بفريدة مرة أسبوعيًا للاطمئنان عليها، إلا أن تواصلاته زادت خلال الآونة الأخيرة لسبب لا تعلمه فريدة لكنها تشعر به.
بعد تفكير طويل قررت فريدة استقبال المكالمة لكن قرارها كان متأخرًا فقد انتهى الجرس، عضت على إبهامها في شيء من الأسف ووضعت الهاتف إلى جانبها لتتكرر الرنة مرة أخرى، بالتأكيد هناك أمر يستدعي كل هذا الإصرار.

--سلام عليكم-.
قالتها بصوت خامل أقرب لشخص غارق بالنوم لتبرر عدم ردها على اتصاله من قبل.
--أنا آسف شكلك كنتى نايمة-.
--أه كنت مريحة بس شوية، خير يا أحمد!-
تلعثمت الكلمات على لسان أحمد كمن يحاول تعلم اللغة من جديد، حروف غير مرتبة تخرج لتكون جمل غير مفهومة على الإطلاق فأردفت:
--مالك يا أحمد، بابا وماما كويسين؟-
--أه كلهم بخير، أنا اللى عاوز أقولك حاجة-.
--خير . . إتفضل-.
استجمع قواه وتنفس عاليًا قائلًا بهدوء يغاير ما كان عليه منذ ثواني قليلة:
--إنتى عارفة يا فريدة إن فرح كانت أقرب ليا وليكى من أي حد-.
لم يجد رد من فريدة فأكمل:
--ودايما كنت بشوفك معاها أفرح . . بحس إنكو إتنين أه بس بروح واحدة-.
اختلطت دموع فريدة ببسمة عريضة على إثر تفهمها لما يؤول إليه حديث أحمد فقاطعته:
--إنت عاوز تقول إيه يا أحمد؟-
--فريدة. . . أنا بحبك-.
لم تكن صدمة فريدة كبيرة، كانت تتوقع هذا الشعور المنبعث من أحمد دائمًا، كل شيء كان يدل على ذلك، خوفه عليها ونظراته حتى كلماته.
أغلقت فريدة المكالمة في وجه أحمد فجأة، ربما لم تكن تتوقع تلك الكلمة

الآن أو في هذه الليلة على الأقل، لكن دعنا نقول إنها وإن كانت تتوقعها لم تكن تتوقع أن لها هذا الأثر في نفسها.

حاول أحمد الاتصال بها كثيرًا لكن دون رد، شعر الأخير بالحرج، كيف سيضع عينيه في عينيها فيما بعد، كان يتمنى أن تنشق الأرض لتبتلعه في مكانه، كان يحاول الوصول لها للاعتذار لا أكثر، لكنه يعود ليتذكر أن الاعتذار لا يصلح لإعادة أي شيء لمكانه أو سابق عهده، الاعتذار اختيار يجب أن يبقى أسفل القائمة دائمًا، يسبقه الفعل لإثبات الأسف لكن ما الفعل الآن.

بدأ يكتب سريعًا رسالة لم تأخذ أكثر من دقيقة كان محتواها.

-أنا آسف يا فريدة . . ممكن أكون اتسرعت وممكن أكون خسرتك لأخر عمري بس يكفي إني كنت صادق معاكى لأخر لحظة . . عارفة إنتى وفرح كنتوا وهتكونوا أجمل شيء في عمري . . سامحيني-

كانت فريدة في تلك الأثناء لا تجد ردًا على كلمات أحمد، هل سيتفهم رد فعلها، بالتأكيد لا، فهو أكثر إنسان حساس قابلته في حياتها، هل ستكون أنت يا أحمد؟، اهتز هاتفها معلنًا عن وصول رسالة أحمد، ما أن قرأتها حتى زالت تلك الابتسامة المرسومة على وجهها.

قامت هي في تلك المرة بالاتصال على أحمد، والذي رد عليها قبل اكتمال الرنين الثاني، رد عليها بلهفة قائلًا:

--آسف يا فريدة بجد-.

--أحمد-.

ساد الصمت هي تنتظر رده على ندائها وهو يتوقع رصاصة صادمة منها عقابًا له:

--أنا كمان بحبك يا أحمد-.

كان مفهوم (الذوب فرحًا) أقل من أن يصف شعور أحمد وقتها، بالتأكيد هي أحد أجمل ليالي حياته إن لم تكن أجملها على الإطلاق، لم يجد ما يعبر عن شعوره سوى الصمت لدقائق طالت تلك المرة، طال حديثهما في تلك الليلة، ككل شيء ممتع في بدايته حد الإدمان.

*****

كان الليل قد مضى إلا أقله، ليلة كانت زاخرة بالأحداث، ليلة أعلنت عن خطبة مزيفة، ذكريات عمن فقدوه في مشوار الحياة، اعتراف بما تحمله القلوب لكن وكأن الليلة تأبى أن تكتفي بذلك.

تنهد كريم أمام مرآته التي ظل قابعًا أمامها لساعات طويلة، لم يرافقه خلال تلك الساعات التي عقبت عودته للمنزل سوى القهوة وسجائره والتي كان يسعلها واحدة تلو الأخرى كنار مشتعلة تأكل الحطب، لم يكن بباله سوى سؤال واحد لم يجد له جوابًا وهو هل كل ما قمت به كان صحيحًا؟

فجأة شعر كريم بخطوات تقترب من باب غرفته، لقد فقد الاكتراث بوجود أهله بالمنزل منذ زمن بعيد للغاية، بالفعل دلف والده لغرفته بعد عدة طرقات قائلًا في هدوء:

--صباح الخير يا كريم، عندك شغل بكره منمتش ليه؟-

--. . . . -

--وإيه يابنى كم الدخان اللى في الأوضة ده؟! حافظ على صحتك يا كريم-.

كان والده يتحدث كطالب حفظ نصًا ويريد إلقاؤه بأسرع وقت قبل نسيانه، لم يعط الفرصة لكريم للرد على أي من أسئلته.

كان الوقت متأخرًا من الليل إذ فمن المؤكد أن هناك ما يستدعي تواجد والده الآن في غرفته:

--خير يا بابا؟-
قالها بكل هدوء متجاهلًا كل استفسارات والده السابقة فرد والده مختنقًا عابس الوجه:
--بص يا كريم ده مش الوقت المناسب اللى أقولك فيه خلى بالك من شغلك لإن نتايج شغلك من سيء لأسوء . . أه وكمان لازم تعرف إنى معترض على شغل رضوى معاك زى ما أنا معترض على وجود (سارة) في حياتك بالظبط-.
لاحظ كريم أن حديث والده لا يصب في موضوع بعينه، من الواضح أن هناك سبب يود الوصول له بشكل غير مباشر:
--حاضر يا حاج، لكن أنا متأكد إن فيه سبب ورا كلامك ده، طول عمرك واضح معايا-.
--أنا ووالدتك هننفصل-.
قالها كمن يلقي بعبء يجثم على قلبه، ولكن كان رد فعل كريم هو الصدمة الأكبر، انطلقت ضحكة ساخرة عالية من كريم دَهش منها والده فقال في غضب:
--إنت بتضحك على إيه . . طول عمرك معندكش دم-.
محيت الابتسامة من على وجه كريم مباشرة بعد جملة والده وكأنما ينظر لندٍ له قائلًا:
--لا بجد إنتوا لسه هتنفصلوا . . . يا حسين بيه . . إنت حياتك في فيلا التجمع وفي الشركة وهي حياتها في جمعيتها وفي البيت هنا . . تقدر تقولى أخر مرة شوفتها كان أمتى . . يؤسفنى أقولك يا بابا إنكوا منفصلين من زمان أوى . . الإنفصال مش كلمة طالق وورقة ومأذون . . الإنفصال إنفصال روح وإنتوا روحكوا منفصلة من زمان أوى-.

أردف كريم بعدما لاحظ صمت والده بجانب تلك النظرة المنكسرة على عينيه وكأن الأدوار تبدلت فأصبح هو الأب ووالده هو الابن:
--عارف إيه الفرق يا بابا . . إنكوا بقيتوا أقوية كفاية إنكوا تعلنوا ده للناس . . إنت وهي اختارتوا بعض واخترتوا شغلكوا وحياتكوا . . إنما أنا جيت لقيت نفسي مجبر على كل ده . . وياريتكوا موجودين في حياتى أساساً . . وبعد كل ده معنديش دم صح!-
خرج والده من الغرفة مباشرة بعد كلمات كريم، يكفي ما قيل فبالتأكيد لا قول بعده.
عُرف حسين المهدي بشخصية قوية، حتى ظن البعض أنه لا يُكسر، حسين المهدي كان دائمًا رمز للقوة وهذا ما جعل عملائه كثيرين في عالم الأعمال، تلك هي الشخصية المفضلة، ودائمًا ما تكون محل الثقة، يُذكر أن حسين المهدي وصل خلال أعوام قليلة لإنشاء أولى شركاته في سن صغير للغاية، على الرغم من أنه لم يرث من والده إلا الاسم فقط، كان مثال للرجل العصامي الذي بنى نفسه بنفسه، أحب العمل حتى أصبح كل حياته، أحب النجاح وأضواءه، بدأ أعماله بمكتب استيراد صغير، كان رأس ماله وقتها كفاحه وأمانته، وثق به الكثيرون حتى تحول المكتب الصغير إلى شركة ومن ثم إلى مجموعة شركات المهدي في كافة الأنحاء والمدن، بل ووصلت إلى فرعين خارج مصر أحدهم في ميونخ بألمانيا والأخر بمدريد في إسبانيا، لم يقف الأمر على الشركات لكنه وصل لامتلاكه عدد من القنوات الفضائية بطاقم إعلاميين خاص به للترويج لتجارته دائمًا، بالفعل كان حسين المهدي نموذج يدرس لأطفال المدارس وشباب الجامعات.
لكن تلك الليلة هي الأولى التي يرى بها نظرة الانكسار تملأ وجه والده، كم

يكون الانكسار مؤلمًا لمن اعتاد القوة.
عاد كريم وحيدًا كالعادة، حاول الاتصال بفريدة لكن مكالمته كانت قيد الانتظار، تُرى من الشخص الذي تتحدث معه فريدة الآن؟!.
ترك هاتفه مباشرة، واستلقى فوق السرير مصممًا على عدم التفكير في أي شيء قرر أن يخلد للنوم لكن الغريب أنه وسط كل تلك المشاكل ما أن وضع رأسه على الوسادة حتى داهمه نوم عميق، منذ أشهر لم يعش مثل هذا الحدث.

*****

ظلامٌ دامس يعُم الأنحاء ولكنه لا يساوي جزيء من خيوط الظلام المتشابكة في قلبه، دقت الساعة معلنة عن بدء يوم جديد، الثانية عشر منتصف الليل بتوقيت القاهرة، اللحظة التي يعود بها الغالبية إلى منازلهم استعدادًا لبدء عناء يوم جديد في محاولة بائسة للإمساك بزمام الحياة المنفلتة منهم منذ عقود.
كانت تلك اللحظة التي ينتظرها هذا الشاب ذو الستة والعشرين عامًا، فأنهى جرعة الكافيين التي كان يمسكها بيده وأطفأ لفافة التبغ التي كانت بيده الأخرى في تلك المطفأة التي امتلأت ببقايا السجائر، غرفة كانت كمدخنة قطار قديم لا تفعل شيء سوى تغطية الأنحاء بالأبخرة والدخان، بدأ ترتيباته بالذهاب إلى خزانة ملابسه فتدثر بأزهى ما يملك راسمًا على وجهه ابتسامة، كأنما يحدث نفسه في داخله عن مدى السعـادة التي يشعر بها الآن، فأخيرًا سينتهي كل ألم في حيـاته.
لكن أوقفه عندما أغلق خزانته شكل لحيته الشنيع في المرآة، من إهماله لها بدا كإنسان الغابة قديمًا، ففضل أن يهذبها قليلًا قبل كل شيء، ضغط على

زر تشغيل الماكينة ليصبح بعد دقائق حليق الشعر والذقن تمامًا.

أنهى كل ذلك وسار واثق الخطى نحو شرفة غرفته ولكن في طريقه لمح قنينة العطر المفضل له المسمى (هوجو) والتي كانت ترتبط بالعديد من الذكريات في حيـاته، فتعطر بها لتكتمل هيئته وكأنه يوم زفافه.

خرج إلى شرفته متلقيًا هواء يناير البارد بصدر رحب وبنفس الابتسامة التي لم تفارق فاه، ولكنه في هذه اللحظة قرر أن ينهي كل شيء سريعًا، فصعد أعلى سور شرفته مطلعًا على المحيط المجاور له كاملًا بكل وضوح وقد ساعده على ذلك منزله القاطن في الطابق التاسع.

ها هي حياته تنتهي أمامه أو سينهيها هو بالطريقة التي يراها مناسبة، فتح ذراعيه وأخذ في تذكر كل ما مضى عليه، خيبات وفراق قد يكون العنوان الأمثل لحياته، نعم ضاق ذرعًا من كل شيء!

بدأ في التمايل رويدًا للأمام ولم يكن يقاومه سوى الهواء الشديد، لكن فجأة سمع صوت اتصال على هاتفه، من يتصل بهذا الوقت ومنذ متى وهو محور اهتمام لأحد، أيًا كان لا يهم الآن فقد حزم أمره وقرر أن يتجاهل رنين الهـاتف غير المبرر . . .

قاوم جسده الهزيل قوة الهواء ليهوى، يشعر أنه يسقط الآن من السماء السابعة . . . . أقل من لحظة وسينتهي كل شيء!

*****

انتفض كريم من نومه فزعًا ناظرًا للساعة التي جاوزت الحادية عشر صباحًا، لا يجد تفسيرًا لهذا الحلم، كان الشاب الموجود ذو ملامح مشابهة لكريم تمامًا، كل تصرفاته حتى نوع العطر الذي استخدمه هو المفضل لكريم، هل يعتبر هذا جواب على كل تساؤلاته، هل كل خطوة يأخذها أصبحت

انتحارًا، بالتأكيد لا قد يكون مجرد حلم عابر لا أكثر، كاد أن يشت عقله من التفكير، حتى قرر أن يشعل لفافة تبغ مع كوب من الشاي الثقيل ليجلس مرة أخرى يتفقد هاتفه، لم يجد أي اتصال من فريدة على الرغم من اتفاقهما على زيارة قبر فرح اليوم.

حاول الاتصال على فريدة لكن دون رد أيضًا تلك المرة، تصرفات فريدة عليها العديد من علامات الاستفهام، شعر كريم بالجوع فقرر أن يترك هذا العبث الذي يملأ تفكيره متجهًا للثلاجة، أخرج منها عبوة عصير مع قطعة من الكيك ووضعهما على المنضدة المقابلة للثلاجة، لكن في تلك الأثناء سمع صوت رنين هاتفه، في طريقه لغرفته لاحظ أن اليوم هو الخامس من الشهر، إنه يوم مميز من أي شهر بالتأكيد بالنسبة له لكن هل سيكون كذلك هذا الشهر.

--ألو-.

قالها كريم عقب التقاط هاتفه والرد على فريدة التي أتى اتصالها متأخرًا نوعًا

--آسفة يا كريم . . كنت هكلمك بالليل لكن خلصت اللى ورايا متأخر-.

وجد كريم مبررها تافه نوعًا ما فرد قائلًا:

--أه كان وراكى مكالمة مهمة واضح إنها فضلت كتير أوى-.

--هفهمك كل حاجة ممكن أشوفك ونبقى نعدى نزور فرح زى ما كنا متفقين-.

كان كريم دائمًا يكره شعوره بأن يكون ورقة متاحة في يد من حوله، نعم يحب أن يساعدهم دائمًا ولكن شعر من تصرفات فريدة شيء من عدم احترام الاتفاق.

--أنا كمان شوية عندي معاد مع سارة يا فريدة . . ممكن نأجل كلامنا ومشوارنا لبعدين-.
صمتت فريدة وهي تشعر بما يرمي إليه كريم فاعتذرت له مؤكدة أنها ستنتظر أقرب وقت لتشرح له كل شيء، انتهت المكالمة كما لم تكن، لم يكن لها أي معنى مطلقًا.

*****

انتهت المكالمة ومازالت فريدة تفكر في السنوات الماضية، كل ما مر عليها لا يبشر بخير أبدًا، كان أفضل ما بتلك السنوات معرفة كريم وصداقتهما وأيضًا أحمد واعترافهما لبعضهما، تشعر وكأن جزء من فرح عاد لها الآن.
كم يسيطر الفضول عليها لمعرفة من هي سارة التي سمعت عنها مؤخرًا، خرجت من غرفتها للبدء في إعداد طعام اليوم.
فجأة تذكرت حوار كريم معها قبل التقدم لخطبتها، تذكر كل كلمة جيدًا لكن مازالت تلمع في ذاكرتها جملته الأخيرة.
-كل اللى قدامك دول ماتوا من زمان لولا بس حاجة حلوة صغيرة موجودة في حياة كل شخص فينا بنعيش عليها-
ابتسمت عندما فكرت جيدًا في تلك الجملة، كريم شخص استثنائي نقابله مرة في العمر، مثقف، لكن زالت تلك الابتسامة عندما سمعت صوت والدتها:
--مبروك يا عروسة-.
--الله يبارك فيكى يا ماما . . صباح الخير-.
--أهو صباح وخلاص بس هيبقى خير لو وعدتيني إنك تشتغلي في شركة خطيبك-.

لم يكن بالأمر الغريب سماع تلك الكلمات من والدتها:
--إن شاء الله يا ماما . . كريم مش بيأخر أي حاجة عني-.
خرجت والدتها لتتركها تفكر في حديثها، دائمًا تبغض فكرة التحول لإنسان وصولي لا يهمه سوى مصلحته وما يعود عليه من أي موقف بغض النظر عن الآخرين، كانت فريدة تدرك جيدًا أن والديها لا يفكران إلا بتلك الطريقة.

*****

كان الازدحام المروري جزء لا يتجزأ من يوم كريم، وخاصة في حال ذهابه للشركة في وقت الظهيرة، توقف عند أحد محطات البنزين ليشتري كوب من النسكافيه وعلبة سجائر جديدة، وعاد مرة أخرى إلي سيارته لكنه تفاجأ بطفل ذي ملابس بالية وقد أسند ظهره على جانب السيارة، في البداية أشار له كريم ليتنحى جانبًا لكن لم يتوقع أن يستسلم الطفل لإشارته بهذه السهولة، كان على يقين أن الأطفال المتسولين أصبحوا مجال عمل لأحد العاطلين الذي قرر جمعهم ليقوموا بدورهم بجمع المال له، لكن هذه المرة كانت مختلفة، اقترب من سيارته وسار باتجاه الطفل:
--إنت بتعمل إيه هنا؟-
--هات جنيه يا عمو-.
قالها الصبي كنص مسجل لا يعرف غيره، أخرج كريم ورقة فئة خمسة جنيهات من جيبه وأعطاها إياه مكررًا السؤال عليه فأجاب الطفل:
--أمي تعبانة فأنا بشتغل بدالها-.
تلمس كريم الصدق بحديثه، تأثر بتلك الطفولة الضائعة الممتزجة بالمسؤولية المبكرة فقال للطفل في هدوء:
--طيب إنت جعان؟-

أومأ الصبي في براءة بالإيجاب، فطلب منه كريم الانتظار حتى وصل إلى مطعم مقابل لسيارته محضرًا له وجبتين، في أثناء انتظار الطعام سمع صوت أحد المذيعات -هذا وقد صرح مصدر مسئول أن نسبة الفقر انخفضت إلى النصف خلال هذا العام-

ابتسم كريم على إثر تلك الجملة ونظر للخارج متفحصًا حال الصبي الذي أسند رأسه للخلف وعلى وجهه هم لا يحمله رجل في الأربعين من عمره.

خرج كريم بالوجبتين إلى الصبي وقال:

--بص إنت راجل أنا متأكد من ده . . ده أكل ليك إنت وماما روح دلوقتى على طول وكل مع مامتك . . إتفقنا؟-

تقدم الصبي بعض الخطوات محاولًا تقبيل يد كريم والذي نزعها سريعًا مردفًا:

--إياك تعمل كده مع حد تانى . . إنت راجل والرجالة مبتعملش كده . . مقولتليش بقى اسمك إيه؟-

--أنا اسمي نوح-.

أُعجب كريم كثيرًا بالاسم وقال له:

--طيب يا نوح يلا روح على طول-.

انصرف الولد سريعًا وما أن أدار كريم وجهه وتوجه نحو السيارة حتى تحولت الابتسامة لتجهم، أصبح يمقت سريان الأمور كاملة بهذا الشكل، لا يدري إلى متى سنظل على هذه الحال؟، إلى متى سنظل من سيء لأسوء؟

تحرك كريم متوجهًا للشركة بعد أن تأخر بالقدر الكافي ليستشيط والده غضبًا، تذكر موعده مع سارة، يوم حافل بالمواعيد، لم يتوقف أيضًا عن التفكير في تصرف فريدة خلال الليلة الماضية، وصل أخيرًا لمقر الشركة

وكالعادة كان والده ينتظره بالمكتب، هو يتذكر جيدًا حديث والده الليلة الماضية أيضًا.
عدة طرقات دلف بعدها كريم عبر الباب الضخم الخاص بمكتب والده:
--نعم يا بابا؟-
كان قيام والده من مكانه ليجلس بالكرسي المقابل له، كل شيء يحدث له هذا الأيام مهما كان صغيرًا أو كبيرًا يحدث لأول مرة، جلس أمامه وبكل هدوء قال:
--دلوقتى يا كريم أنا لقيت الصبح استقالة رضوى . . و ده كان ش. . . . -.
قاطعه كريم قائلًا:
--طيب مشوفتهاش النهاردة خالص في الشركة؟-
--لا مشوفتهاش ولولا إنك إنت اللى موظفها كنت أنا اللى طلبت منها ده من زمان . . بص يابنى إنت عارف إن شغلها وحش جداً . . أي تقرير بيوصلى منك وبيكون مر عليها لازم يكون فيه أخطاء-.
مسح كريم بيده على شعره قائلًا:
--ما علينا خلينا في شغلنا-.
رد والده بحماس:
--هو ده الشغل . . الفترة الجاية صعبة ولازم نشتغل بأقصى جهد يا كريم . . لازم خلال ٤٨ ساعة تكون فيه سكرتيرة مؤهلة للشغل وكمان تعلمها الشغل كامل عاوز خلال شهر يكون فيه شخص محترف في الشغل مكان رضوى-.
وافق كريم على طلب والده، فلم يكن أمامه سوى القبول خاصة أنه يعلم صعوبة الفترة المقبلة.

خرج كريم من مكتب والده وتوجه لمكتبه لإنجاز بعض الأمور قبل أن يتوجه للقاء سارة، دلف للمكتب ليجد حمزة قد سبقه دون أي موعد ومن الواضح أنه ينتظره منذ مدة بعيدة.

--خير يا حمزة؟-

نهض حمزة متوجهًا لتصبح المسافة بينهما سنتمترات قليلة قائلًا:

--إنت مش عاجبني يا صاحبى . . بقيت تيجى متأخر . . سرحان طول الوقت . . إيه جد يا ابن حسين المهدي-.

رفع كريم رأسه كرد فعل على قوله الأخير: -دي شتيمة يعني . . ما علينا اللى جد إني خطبت-

اتسعت عينا حمزة وتعثرت كلماته عن التعبير:

--من غير ما تعرفني-.

--أنا معرفتش حد أصلًا يا حمزة، ولا حتى أهلي، دي كانت حاجة ع الضيق كده-.

استشاط حمزة غضبًا من تبريره غير المفهوم:

--ع الضيق إيه و ع الواسع إيه . . هي خطوبة ترزى !!-.

ضحك كريم على تشبيه حمزة فأوقفه حمزة في شيء من الجد:

--أنا مبهزرش . . لو كان هشام هنا كنت عرفته كل حاجة . . زى ما أنا هعرف منك كل حاجة دلوقت-.

أنهى كل شيء قبل أن يستقل سيارته، تمامًا في الرابعة مساءً وصل لوجهته ليجد سارة تنتظره أمام بوابة ضخمة، فأشار لها لتدلف داخل سيارته، وهو يستقبلها بتلك الابتسامة الهادئة.

*****

جلست فريدة عقب الانتهاء من الطعام على سريرها تفكر في الليلة السابقة، من الغريب أن يتسلل لقلبها شعور خيانة كريم على الرغم من أن كل شيء متفق عليه، كانت تود الاتصال بكريم الآن لكنها تعلم أنه قد يكون مع سارة، هي لا تريد إزعاجه حقًا.

قررت الهروب من كل شيء والاتصال بأحمد الآن، لم تتحدث إليه منذ تلك المكالمة التي غيرت مسار الكثير من الأحداث، بعد رنين طويل رد أحمد متثاقلًا:

--إزيك يا فريدة؟-

--الحمد لله إنت عامل إيه يا أحمد . . نايم كل ده؟-

--أه بس هقوم خلاص أهو-.

شعرت فريدة أنه وقت غير مناسب للحديث فقالت:

--أنا هسيبك تاكل حاجة ونتكلم يا أحمد-.

--أوك تمام . . خدى بالك من نفسك-.

--حاضر-.

أنهت المكالمة وبعدها قررت الاتصال بـ كريم وليحدث ما هو مقدر، لم يرد كريم من المرة الأولى فأعادت الاتصال على غير عادتها وهنا قام كريم بالرد مباشرة: -ألو-.

--إنت فين يا كريم؟-

رد كريم بصوت منخفض:

--أنا مع سارة . . إيه المشكلة؟-

--و يا ترى سارة عرفت-.

تفهم كريم قصد فريدة، فأجاب بكلام مبهم:

--لا بس إن شاء الله كل حاجة هتبقى تمام-.

--طيب نتكلم بعدين يا كريم-.

--أوك-.

تذكر كريم ما ذكره والده، لا يعلم لماذا تذكر حديثه الآن لكن لربما لأن فريدة هي أكثر شخص تنطبق عليه المواصفات المطلوبة للعمل.

--سلام يا كريم-.

أسرع كريم بمنعها من إغلاق المكالمة وقد نهض بعيد عن المنضدة التي جلست عليها سارة معه في أحد مطاعم القاهرة الشهيرة.

--فريدة-.

--نعم-.

--إيه رأيك ترجعي الشغل . . أظن ده وقت مناسب تشتغلي في مكان إنتى عارفة أنه مناسب ليكى وكان مناسب من وجهة نظر فرح كمان-.

تذكرت فريدة حديث والدتها اليوم، وكأن كريم قد سمعهما، تحقق الأمر خلال سويعات قليلة فقط من حديث والدتها.

--طيب يا كريم نبقى نتكلم في الموضوع ده بعدين، ويلا بقى عشان سارة متدايقش-.

--بعدين إيه يا فريدة، لو موافقة لازم تكوني في الشركة من بكره مفيش وقت، أظن لسه فاكرة الشغل-.

ضحكت فريدة من كلمات كريم قائلة:

--فاكرة إيه يا أستاذ كريم . . ده مر أكتر من سنة . . عاوزنى إفتكر الشغل إزاى . . لكن إطمن هفتكر بسرعة لما تشرح ليا-.

--تمام مستنيكى بكرة الساعة تسعة الصبح في الشركة يا فريدة-.

أنهى كريم مكالمته وعاد لتلك المنضدة مبتسمًا لسارة، ساعات مرت برفقة سارة دون أي أحداث تذكر، لا يذكر غير شيء واحد أنها دائمًا أسعد أوقاته عندما يتواجد إلى جانبها.

*****

عاد كريم إلى بيته، لم يجد أحد كالعادة فدلف مباشرة إلى شرفة غرفته، مشعلًا إحدى سجائره ينظر للسماء بإعجاب وهو يستند بمرفقه إلى إفريز الشرفة، اكتمل القمر والنجوم تحيط به، لم يكن هذا المنظر كامل الجمال بسبب بعض الغيوم السوداء التي أخفت أجزاء من القمر، حتى هذا المنظر البديع يأبى أن يظهر كاملًا.

لماذا دائمًا نبحث عن الكمال على الرغم من أننا على يقين أن الكمال لله وحده، لماذا تؤلمنا مشاكلنا للحد الذي لا يجعل منا سوى كارهين لتلك الحياة، على الرغم من أننا إن أطلنا النظر قليلًا لوجدنا من هم بمشاكل حقيقية، مشاكل تصل إلى حد الكوارث.

لن تكون الحياة بلا مشاكل ولن نكون بلا عيوب، ولن نقابل من هم أنقياء حد الكمال، حتى إن كانوا موجودين فالحياة كفيلة بتغيير كل شيء بداخلهم.

كم كان يشتاق في تلك اللحظات لعناق من والدته، كم يشتاق لدفئ العائلة، كم يشتاق لذاته بحضورهم.

تزاحمت الأفكار في رأس كريم، بدأ يشعر بحرارة تسري في كامل رأسه على الرغم من الهواء البارد المحيط به، تحسس وجنتيه بظهر يده اليمنى فشعر بتلك الحرارة، خرج على الفور ليدلف إلى حمام غرفته، أحنى رأسه داخل الحوض مغمضًا عينيه تاركًا الماء البارد ينثال عليها.

خرج كريم ليجفف رأسه وتناول هاتفه للاتصال على فريدة لتأكيد موعد الغد، لا مجال لتأخير بدءها للعمل ولو لساعات قبل أن يلمس الشاشة بإبهامه وجد فريدة قد سبقته بهذا الاتصال، ابتسم لتلك الصدفة وسحب العلامة الخضراء قائلًا: -طب والله كنت لسه هكلمك-.

ابتسمت فريدة لجملته: -يلا . . هو الكلام بفلوس . . على معادنا بكره؟-

--فعلا؟! . . ما أنا لسه قايل ليكى من ساعتين . . عموما على معادنا أه-.

--مشوفتش في تقل دمك يا كريم-.

ابتسم كريم بعدما تحسس إحراجها،

--هستناكى أول ما توصلى تعالى على مكتبى ولو مش فاكراه إسألى على مكتبى . . إطمنى أنا فيمص في الشركة-.

--فيمص؟! . . يعنى أنا هشتغل مع فيمص؟ واضح إنك مدارس وجامعة حكومى مش جامعة أمريكية خالص بس ما علينا-.

أجواء من المرح عمت المكالمة لدقائق لا أكثر، انتهت المكالمة، وكلٌّ منهما بانتظار الغد.

*****

التاسعة صباحًا . .

دقات أعلنت عن وصول فريدة لمكتب كريم والذي قد أعطى تعليمات للجميع بإيصالها لمكتبه مباشرة.

--إيه القمر ده يا ناس . . نورتى مكتبى المتواضع-.

حركت فريدة رأسها دون رد، ظهرت عليها ملامح الإرهاق وكأنها لم تذق النوم من أيام.

--مالك يا فريدة؟-

قالها كريم وقد ظهر القلق عليه،

--مفيش منمتش حلو بس . . . أطمن يا كريم أنا هركز يلا نبدأ شغل-.

خرج كريم مرافقًا فريدة إلى مكتبها والذي لم يكن يفصل بينه وبين مكتب كريم سوى جدار لا أكثر، انقضت ساعات بين تلك الأوراق المتناثرة، كانت فريدة تحاول التقاط ما يمكن من حديث كريم، لا تريد أن تخيب رجاءه للمرة الثانية على التوالي.

--هسيبك تقرى الملفات وهطلبلك قهوة من سامح دلوقتى هتفوقك-.

--كريم-.

توقف كريم بعد أن كان على أعتاب مكتبها وقد أدار وجهه لها منتظر باقي حديثها.

--أنا وأحمد ارتبطنا-.

عاد كريم ليجلس أمام مكتبها ممررًا يمناه على شعره قائلًا:

--ده من أمتى وأحمد مين؟ . . أوعى يكون. . . -.

قاطعته فريدة مؤكدة شكوكه:

--أه هو . . أحمد أخو فرح . . وده من يومين . . بص أنا عارفة إنك هتزعل إنى مقولتش ليك بس ده كان من يومين بس-.

--يومين ولا عشرة . . المفروض قبل ما تاخدى قرار ترجعيلى . . مش عشان خطيبك . . على الأقل عشان أصدقاء وفيه بينا اتفاق-.

احتدت فريدة عندما شعرت أنها بوضع الدفاع عن النفس قائلة:

--اتفاق إيه؟ . . ادينى قولتلك والاتفاق اللى بينا ده كان لغاية ما ارتبط وأظن أنت المفروض تفرح أنا خلصتك من هم كبير أوى يا كريم-.

جملة صُدم منها كريم، لكن حاول إخفاء صدمته قائلًا:

--أنا فعلًا خلصت ولو حابة ممكن نفك اللعبة اللى بينا مش هقول عليها خطوبة-.
همَ كريم بالخروج من المكتب فصاحت فريدة بصوت مسموع:
--و ياترى عملت إيه إنت مع سارة . . ولا ده مش تبع الاتفاق !!-
نظر لها كريم وقال ساخرًا:
--عملت كل خير يا فريدة-.
قالها وأغلق باب مكتبها بعنف، اتجه كريم لمكتبه وعلامات الغضب لا تكاد تفارقه، تابع دخول كريم مكتبه دخول حمزة الذي لم يلحظ كريم إشاراته له من لحظة خروجه من مكتب فريدة.
--هو أنا مش بنادى عليك يا جدع-.
التفت كريم على جملة حمزة دون أن يرد علية فأردف:
--طيب سيبك منى . . مين المزه الجديدة دي . . كنت بتعمل إيه معاها يا شقى-
جملة أشعلت النيران بداخل كريم، طرق كريم بيديه على المكتب مستديرًا له في غضب ممسكًا بياقة قميصه قائلًا:
--بقولك إيه . . دي واحدة من أقرب الناس ليا . . وبص بقى أنا لا فايق ليك ولا لهزارك . . ودى شركة محترمة مش كشك فاتح في شارعكوا-.
كانت تلك أول مرة يتطاول كريم على صديقه لتلك الدرجة، لاحظ كريم دهشة صديقه فترك ياقته متراجعًا عدة خطوات للخلف.
خرج حمرة دون أن يخرج منه أي رد، خرج وكريم يشيعة بنظرات ندم على تهوره ممتزجة بغضب، لا يعلم كريم لماذا وصل لتلك الدرجة من الغضب!, فتح هاتفه ليجد صورته مع سارة أول ما قابله، شعر أنه هدأ قليلًا، كانت

سارة الجزء الجميل دائمًا بحياته، كم هو سعيد بتلك الصدفة التي جمعته بها.

وردت له رسالة نصية، وجد فريدة هي من أرسلتها كان نصها:

-أنا آسفة . .

على فكرة إنت عندك حق وأوعدك أصلح كل حاجة قريب . . متزعلش منى يا كريم-

ترك هاتفه وهو لا يعلم سِر هذا الغضب إلى الآن حتى وبعد اعتذار فريدة منه، بالفعل كان ينتظر ارتباطها لتعود الحياة إلى عهدها، وأي عهد هذا لطالما تمنى أن تتحسن كل تلك الأوضاع.

أحيانًا لا نفهم أنفسنا، ليس لأننا معقدون من الداخل لكن لخوفنا من المواجهة، نخشى دائمًا مواجهة أنفسنا، نؤجل تلك اللحظة التي ستأتي يوم ما مهما تأخر وقتها، تلك اللحظة التي قد نكتشف بها أننا بحاجة إلى تغيير مسار، المسار المتحكم في عقلك وقلبك أو بالأحرى أن نوقف قلوبنا لمدة ليست بالقليلة لنتخذ تلك القرارات المصيرية.

*****

انتهى اليوم المؤسف، علاقات تحطمت أو فقدت جزء من معناها، يوم قد يظل متعلق بالذاكرة مدة ليست بالهينة لكن كان على رأس هؤلاء المحطمين هو حمزة، اعتاد حمزة على العودة إلى منزله القاطن بنزلة السمان عن طريق المترو.

تكدست عربات المترو، لم يكن حمزة بناكر لجميل تلك العربات عليه، قضى أيام دراسته وعمله متنقلًا بالمترو، كما كان المترو مكان لاتخاذ أهم قرارات حياته، عدم قدرته على القيادة أيضًا حالت بينه وبين تسلم إحدى سيارات

شركة المهدي لكنه اعتاد على الأمر.

لم يكن يفكر إلا بها، لا يعلم سبب للأمر برمته، لأول مرة يعترف بحديث الأعين حتى وإن كان من طرف واحد فقط.

انتقل للتفكير بتصرف كريم معه اليوم، كان كريم بالنسبة له أكثر من أخ لكن كان يكن له غيرة كبيرة بقلبه، كان دائمًا يرى أن كريم استحوذ على نصيب أغلب الشباب، الأموال والشركات والسيارة الفارهة وحب جميع النساء لكن تلك المرة أصر حمزة على جعل الأمر يختلف، فكل شيء سيختلف مع تصرف كريم اليوم.

-المرة دي فريدة بتاعتي يا كريم-.

قالها وعيناه تشتعلان نارًا، قالها وهو يجز على أسنانه حتى كادت أن تتحطم.

ساعة كانت الوقت الكافي لوصول حمزة إلى بيته بعد عناء يوم طويل كالعادة.

أحيانًا لا يكون السجن مجرد
قضبان، قد يكون أحيانًا انتظار ما
لن يأتي أبدًا
(سِجن الانتظار)

(٤)

تحسس بيد مرتعشة تلك المنضدة الموجودة بجانبه حتى عثر على نظارته بعد عناء طويل كـأم تبحث عن ولدها في وسط خراب الحرب، تناولها وقام بارتداءها بنفس عناء البحث عنها السابق.

كان صوت القرآن الكريم يرتفع من هذا التلفاز المواجه لجسده والبعيد تمامًا عن عينيه التي لا تستطيع رؤية ما بعد عنها عدة أمتار فقط.

نظر لتلك الصورة التي يمسكها بيده، لكم كان يحتاج أن تعود تلك الأيام، كان احتياجه لعودتها أكبر من أي شيء.

شرد يفكر. . دائمًا طوال مسيرتنا في زخم تلك الحياة يتولد بداخلنا فيض من الاحتياج، احتياج الراحة واحتياج الاهتمام، واحتياج للنجاح، واحتياج للحب، لكن يبقى أصعبهم احتياجنا لمن ودع عالمنا وأصبح في الدار الأخرة.

أعاد نظره لتلك الصورة التي يحملها تقريبًا بأغلب خطوات وتفاصيل يومه، كم كان يشتاق لها، يتذكر جيدًا تفاصيل هذا اليوم الذي تم فيه التقاط تلك الصورة، انتقل بعينه للكرسي المجاول لمقعده المتحرك، تذكر شريكة حياته، كانت تعني له الوطن، كان يشعر دائمًا بغربة عندما تغيب هي عن عينه، كانت تجلس دائمًا عليه بجانبه، كم تشاركا أحاديثهما بهذا المكان تحديدًا، ابتسم لتظهر بعض النقاط البيضاء بينها فراغات، لقد فقد الكثير على مدار حياته فلم يكن من الغريب أن يفقد بعض أسنانه، على الرغم من ذلك إلا

أن ابتسامته كانت تحمل براءة شيخ كبير لا حول له ولا قوة.
تحولت بسمته لدموع حاول إخفائها بابتسامته السابقة، تذكر كلماتها التي طالما كانت تقولها له في أشد لحظات ألمه، فيتحول بعدها لأسعد شخص بهذا العالم، الجملة التي كانت تنسيه دائمًا هموم الدنيا وما فيها.
-إحنا مش قصة حب . . إحنا قصة الحب . . القصة اللى الحب إتعمل عشانها . . بتمنى أيامنا تكون في جمال رجولتك وسندك ليا دايماً -
يتذكر رده على تلك الكلمات، لم يكن هناك أي كلمة يمكن التفوه بها بعد حديثها، دائمًا ما كان يطبع تلك القبلة على جبهتها ويعانقها إلى أن تذوب روحيهما معًا.
فجأة في وسط شرود عينيه سقطت تلك الصورة فتحطم الزجاج المحيط بها بالكامل.

*****

مرت عشرة أيام دون أي تغيير يُذكر، قضاهم كريم بين أوقات الشركة وأوقات العزلة، إلا من بعض الأوقات التي كان يتحدث بها أو يلاقي سارة، لم يكن حزين من فريدة على فعلتها فيكفي أسفها، ولكنه أيضًا في نفس الوقت لم يعود معها إلى سابق عهده إلى الآن.
كان هناك شعور قوي داخل قلب كريم أن مشاعر أحمد تجاهها ليست بالحقيقية حتى وإن كان مشاعرها تجاهه أصدق.
على الجانب الآخر كانت فريدة تقضي نصف يومها بالعمل بجانب كريم وتحاول أن تبقي نصفه الأخر في تواصل مع أحمد، شعرت معه بالآمان الذي لم تشعر به مع أهلها.
أعلنت عقارب الساعة عن السابعة مساءً، لحظات أعلنت أيضًا عن اتصال

وارد لكريم، تناول الهاتف فوجد المتصل والده، بالتأكيد كان ينتظر أن يكون اسم فريدة هو المكتوب.

--ألو-.

--إزيك يا كريم-.

--الحمد لله بخير . . الشغل تمام؟-

تحولت نبرة والده كشخص دخل في عراك شديد:

--لا طبعاً يا بيه . . فيه إيه بينك وبين فريدة الحسيني يا كريم؟-

انتفض كريم من مكانه بعد سماعه لاسم فريدة فحاول تهدئة المكالمة قائلًا:

--فريدة بتشتغل معايا وهي أختي يا بابا مش أكتر-.

ضحك والده بسخرية قائلًا:

--أختك ؟! . . والله مفتكرش إننا خلفنا غيرك يا كريم-.

حاول كريم الرد لكن لم يكن هناك رد فأردف والده بطريقة أكثر سخرية:

--و بعدين هو فيه عاقل بيخطب أخته . . وكمان من ورانا يا كريم-.

جملة كانت كضربة قاضية لكريم.

--إسمع يابنى . . أخر الكلام . . الخطوبة هتتفسخ وأنا هعرف أنزل طلب سكرتيرة في جرنال بدل الكسر اللى إنت بتجيبهم-.

--فريدة مش كسر يا بابا . . وسامحنى يعنى أخر الكلام ده بالنسبالك . . إنت علمتنى لما أوعد مخلفش-.

أغلق والده الاتصال في وجهه، لم يرد عليه وربما فضل عدم الرد بالفعل.

غزت عقل كريم العديد من الأفكار التي لا حصر لها، كيف وصل هذا الأمر لوالده، لا يوجد شخص يعرف بالأمر سواه هو وفريدة وأسرتها، بدون تفكير ظن أن والده تحدث مع فريدة وعرف منها الأمر، كان يعرف جدًا مدى

ذكاء والده بالحوار.
على الفور اتصل بفريدة لكن دون رد، انتبه في اتصاله الثاني أن مكالمته قيد الانتظار، لابد وإنه أحمد، إلى متى سيضحي من أجل من لا يشعر بتضحيته؟ إلى متى سيحارب وحيدًا ضد التيار؟
شعر باهتزاز هاتفه، كانت فريدة هي المتصلة فرد بشيء من الهدوء المصطنع، لم يكن يريد أن يظلمها أو يظن بها سوء الظن حتى يتأكد أنها صاحبة تلك المشكلة وسببها الأساسي.
--ألو يا فريدة-.
--اتصلت بيا مرتين فيه حاجة؟-
استشاط كريم غضبًا لجملتها، وكأنه من الواجب عدم الاتصال إلا لأمر هام.
--إنتى إتكلمتى مع (حسين المهدي) اليومين دول؟-
--حسين المهدي مين؟-
--ليه محسسانى إنك شغالة في شركة تانية، مستر حسين . . . أبويا-.
تفهمت فريدة من أسلوبه أن هناك أمر كبير:
--أه يا كريم . . أمبارح جالى المكتب وقالى نورتى لأنى كل ده مكنتش لسه قابلته . . وأتكلمنا حبة-.
--الله عليكى . . كده أنا فهمت . . طبعا قولتى تعرفية إنك خطيبة إبنه-.
اتسعت عينا فريدة:
--لا يا كريـ . . -.
قاطعها كريم قائلًا:
--طبعاً لأ . . هتقولى هو اللى فهم يا كريم وأنا مقولتش حاجة . . بصراحة أنا لو مكانك هعمل كده . . فرصة العمر يا بنتى-.

بدأت دموع فريدة بالانهيار، كم تشعرها كلمات كريم بالإهانة، تعلم الآن أنه يشبهها بأهلها، لكنها كانت تتمنى أن توضح له براءتها من الأمر برمته.

--طيب أنا إيه مصلحتي؟-

قالتها بعد صمت طويل وصوتها يتقطع من تأثير البكاء.

--نفسى أعرف إيه مصلحتك فعلا يا فريدة . . أنا وقفت جنبك بجد . . دلوقتى كل حاجة هتتغير . . أنا دلوقتى ممكن أتمسك بيكى وأخسر أهلى وده مش هيحصل مش تمسكا فيهم بس بصراحة شايف كفاية علينا أوى كده وإعرفى إن سى أحمد بتاعك ده محتاج وجودك مش عاوز وجودك وفيه فرق بينهم يا هانم . . . أنا تعبت بجد-.

--إسمعنى بس والله أنـ . . -.

أغلق كريم الاتصال بعد كلماته السابقة، لم يعطها فرصة للدفاع عن نفسها على أقل تقدير، لا يدري هل له حق بكل شيء أم أن الحق عليه، لا يعلم أي شيء، يشعر بشلل أصاب عقله.

*****

على الجانب الأخر كان القمر يشهد بكاء فريدة بحرقة، تشعر بألم لم تمر بمثله من لحظة وفاة فرح، أسوء لحظات العمر هي تلك اللحظات التي يظلمك بها أحدهم ولا تستطيع الدفاع عن نفسك.

--أنا بكرهك يا كريـم . . كنت فاكراك الحاجة النضيفة اللى دخلت حياتي بعد فرح-.

حاول أحمد الاتصال بها عدة مرات لكن لم ترد، كيف سترد وهي بتلك الحالة، كانت تنتظر منذ أيام تلك الليلة لتخبره بكل شيء، كانت ستطلب منه أخذ خطوة رسمية بحياتهما، لكن لماذا لا تخبره بذلك الآن، قد يكون

هذا هو الوقت الأنسب للحديث عن هذا الأمر، كانت تريد أن تتأكد من حب أحمد لها، أو تتأكد من كلمات كريم لها منذ قليل بشأن علاقتها مع أحمد.

قامت فريدة بالاتصال على أحمد بعد أن هدأ صوتها ومُحي جزء من أثر البكاء.

--مبتروديش ليه يا فريدة . . قلقتينى؟-

--إنت بتحبنى ليه يا أحمد؟-

كان السؤال غريب نوعًا ما لكن أحمد فضل الإجابة عليها لعل إجابته تكون سبب في راحتها:

--كفاية يا فريدة إنك فيكى من فرح أختي . . ده كفيل إنى أحبك العمر كله-.

أغمضت فريدة عينيها في ألم، لم تكن تلك هي الإجابة المنتظرة، كانت تتمنى أن يحبها بلا سبب، دائمًا إن كان هناك سبب للحب فهو ليس حب مطلق ولكنه شيء بين الحب والإعجاب لا يرقى للحب ولا يعتبر مجرد إعجاب.

--أنا فيه عريس متقدم ليا يا أحمد . . صدقنى أنا-.

قاطعها أحمد بشيء من الغضب:

--فريدة سيبك من حركات البنات دي . . هي العرسان بتتقدم لما ترتبطوا بس ولا إيه . . إنتى عارفة ظروفي يا فريدة . . هي مش ظروف مادية لأني عارف هتقولى إيه . . لكن أنا مش مستعد لخطوة زى دي حاليًا-

تمامًا وبتلك اللحظة أيقنت أن كريم كان على حق، لم يكن أحمد يحبها بالمعنى الذي توقعته أو تمنته، ألقت بالهاتف ليصطدم بالحائط ويسقط مهشمًا، كم كان يشبه قلبها في هذا الوقت.

كانت تشعر بارتعاش يسري بكامل جسدها، كم هو مؤلم خسارة كل شيء خلال دقائق لا أكثر، خسرت أكثر شخص كان يدعمها، خسرت الشخص الذي ظنت أنها عثرت أخيرًا على حبها بوجوده.

*****

كانت أحد أسوء الليالي على الجميع، تداخل صوت دقات عقارب الساعة مع صوت كلمات إحدى أغنيات السيدة أم كلثوم المنبعثة من أسفل بيت فريدة.

-إسأل روحك . . إسأل قلبك قبل ده كله إتغيروا ليه . . إتغيروا ليه؟

أنا غيرني عذابي في حبك لكن إنت غيرك إيه . . ؟

هو حناني عليك قساك حتى عليا

ولا رضايا كمان خلاك تلعب بيا

ولا تسامح روحى معاك غرك فيا-

فريدة، كانت الذكريات تتدفق إلى خاطرها كسيل سرمدي لا بداية له ولا نهاية، تفكر في والديها، فرح، كريم، أحمد كل هؤلاء أشخاص فقدتهم وإلى الآن لا تعرف من المذنب.

كريم، لم تكن ليلته سوى ليلة أكثر مأساوية، يتمنى أن تنتبه فريدة لكل شيء حولها، أصبح الآن لا يعلم حقيقة مشاعره تجاهها، كتب لها ما يفوق الخمسة رسائل وفي كل مرة يمحو الرسالة ويترك الهاتف، ليتناوله مرة أخرى ويعاود الأمر، يكتب رسالة في كل لحظة يشعر فيها أنه ظلمها ولم يستمع إلى حديثها، ثم يمحي الرسالة عندما يفكر أنه قد تم استغلاله من قبلها لا أكثر.

أحمد، كان حانقًا لأبعد الحدود، قد يكون يُكِن الغضب الأكبر من ذاته،

يشعر أنه قد تسرع عندما أعلن لفريدة عن حبه لها، أعلن لها ذلك في وقت كان يحتاج فيه لأي شيء من جانب فرح وبالتأكيد لم يكن هناك أفضل أو أنسب من رفيقة دربها.

سارة، حاولت الوصول لكريم أكثر من مرة لكن دون جدوى، ظلت دون نوم تلك الليلة على أمل اتصال كريم عليها، خاصة أنهما في أخر لقاء اتفقا على اللقاء بتاريخ الغد لشراء بعض الأغراض.

دائمًا تختلف شكل النهايات، إلا أنها تتشابه بأوجاعها، دائمًا جمال البدايات يُنسينا عظمة حقيقة النهايات.

غيوم داكنة تكونت على شكل سُحب في السماء، أعلنت عن بدء تساقط قطرات من الأمطار إلى أن دوت أصوات هزيم الرعد الذي صعقت له الآذان لتنهال بعدها سيول جارفة، ارتفعت المياه في الشوارع ناتج تلك الأمطار، أمطار شاركت الجميع دموع قلوبهم التي فاقت دموع أعينهم بمراحل وكأن الله أرسلها لهم ليهدأ لهيب تلك القلوب. ألمي على قلوب دامعة إما أن تموت فيصبح صاحبها بلا إحساس أو يموت ويدفن بداخله إحساسه.

انقضت دقائق تحولت لساعات، كلٌ لزم موقعه ببيته، أشرقت شمس الربيع بعد أن ودع الشتاء الجميع بالأمس.

تغلب كريم على تلك الرعشة التي سيطرت علي جسده صباحًا، لقد غط في نوم عميق لمدة ساعتين أو أكثر قليلًا، تحرك ببطئ إلى أن وصل لخزانة ملابسه، يشعر بكسل، لا توجد بداخله رغبة لأي شيء.

متثاقلًا ارتدى ملابسه وأشعل لفافة تبغ قبل الخروج من غرفته.

استغرق وصوله لسيارته حوالي عشر دقائق كاملة، سلك نفس الطريق الذي يعج بتلك السيارات التي كانت تنفي كافة الاتهامات أننا شعب فقير أو

نسبته الأكبر تحت خط الفقر، إلا إن كان هناك مفهوم جديد لكلمة فقر.
بجسد انتهكه الألم والحزن وصل الأخير لمقر الشركة، كانت الساعة لا تزال العاشرة صباحًا، أصبح يشعر أن هذا الكيان هو سبب أغلب مشاكله، هو سبب انشغال والديه عنه، هو سبب لقاؤه بفريدة، هو سبب مقابلة تلك الوجوه المنافقة، هو سبب روتين يومه المقيت أيضًا.
شق كريم طريقة لمكتبه ككفاح شق الطريق للأندلس، كان يشعر بثقل حديدي معلق بكلا قدميه، يجر قدميه بإعياء شديد مر أولًا على مكتب فريدة المجاور له، كما توقع تمامًا لم تأتي إلى الآن ولعلها لن تأتي من الأساس، لم يعبأ بالأمر كثيرًا.
وصل أخيرًا لمكتبه، بعد أن اكتفى ببعض الإيماءات برأسه للموظفين دون أي كلمة تذكر.
عينان شاخصتان لم يقاطعهما سوى بعض الطرقات على باب مكتبه، رفع عينيه ببطئ، خابت توقاعته فلم يكن حمزة هو من يطرق باب مكتبه، كان الطارق شخص لن يتوه عن هيئته مهما مرت الأيام وغيرته الحياة الأوروبية, قفز كريم من جلسته متجهًا نحوه، عانقه باشتياق، طال العناق وقد صاحبه الصمت الطويل، كسر كريم حاجز الصمت قائلًا:
--وحشتنى يا هشـام بجد-.
--إنت أكتر يا كريم . . طمنى عن حالك-.
ابتسامة على وجه كريم فشلت في إخفاء سوء الأحوال التي كان يمر بها، فاستمر في محاولات إخفاء كل شيء ولو مؤقتًا قائلًا:
--أنا تمام يا صاحبي، وبجد إنت جيت في وقتك، لكن إنت وصلت مصر إمتى؟-

--إمبارح بالليل وقولت أعملهالك مفاجأة و جيتلك قبل أي حد . . لسة مشوفتش الحاج والحاجة لغاية دلوقتى . . إنت اللى في القلب يا كيمو-.
مرة أخرى ولدت ابتسامة على وجه كريم وقام بعناقه للمرة الثانية، كان يود أن يتأكد أن كل ما يحدث الآن واقع وليس مجرد حلم عابر، فعلى الرغم من أن هشام لم يكمل العامين بغربته إلا إنهم كانوا يشعرون بمرور عقود على فرقتهم.
--طمنى دينا عاملة إيه وحالتها الصحية وصلت لفين؟-
--دينا تمام يا حبيبى، وهي معايا لكن بتكلم مامتها تحت في العربية، مكالمة بتاخد سنين ضوئية-.
صُدم كريم من تركه لها بالأسفل فهو يعلم أنها غير قادرة على دخول الشركة بمفردها نظرًا لحالتها الصحية، فقال مسرعًا:
--إنزل ساعدها بسرعة طيب يا هشام-.
تعالى صوت ضحكة هشام قائلًا:
--لا دي بقت تمشى أحسن منى ومنك يا باشا، العلاج في أوروبا غير هنا، في أوروبا الطب رسالة، لكن غالباً هنا مجرد مصدر رزق إلا نسبة قليلة جداً-.
كانت سعادة كريم لا توصف بهذا الخبر، انفرجت أساريره في ابتسامة طفولية اشتاق لها هشام فأردف قائلًا:
--عارف سعات العلاج اللى بجد بيكون هو الحب، كلنا محتاجين شخص يتمسك بينا في عز الدنيا ما إتخلت عنا، والشخص ده هنلاقيه مرة واحدة لكن الاختبار بيكون هنتمسك بيه إزاى وقتها-.
تذكر كريم في تلك اللحظة (فريدة) لا يعلم سبب كونها الشخص الوحيد المرتبط بكلام صديقه فانتبه لهشام الذي أكمل حديثه:

--أنا ياما غلطت في حياتي، يمكن كنت بدور على الغلط وبعمله، ممكن يكون طيش شباب أو غضب من ربنا عليا لكن دينا كانت النقطة اللى اتحولت عندها لإنسان جديد-.
لاحظ هشام صمت كريم وتأثره بكلماته، لاحظ الليل الذي تسلل أسفل عينيه والوجه الشاحب فأكمل:
--وبعيداً عن كل ده فيه مفاجأة، كلنا منتظرين ولى العهد الجديد (كريم)-
ذابت أحزان كريم كجبال الجليد في يوم قائظ الحرارة، تحولت صدماته إلى سعادة عارمة، عودة هشام، وشفاء زوجته وخبر المولود المنتظر الذي تقرر تسميته على اسم كريم كانت أسباب كافية لإضفاء البهجة على يومه.
--ألف مبروك يا هشام . . دايما إنت مرتبط عندى بكل الأخبار الحلوة يا جدع-.
--الله يبارك فيك يا كيمو . . فين الواد حمزة وحشنى القرد ده-.
--هيروح فين يعنى . . موجود وقارفنى . . تعالى نعدى عليه-.
--صحيح يا كريم سارة عاملة إيه؟-
اختفت الابتسامة من على وجه كريم قائلًا:
--تمام يا حبيبى . . والله مقصر معاها أوى وأكيد مقموصة منى دلوقتى إنت عارفها-.
--نبقى نظبط معاد كلنا نقعد سوا ونرجع أيام زمان-.
خرج الصديقان وقد طلبا من سامح إحضار ثلاثة فناجين قهوة إلى مكتب حمزة.

*****

نبت داخل فريدة شعور اللاشعور، اعتادت على الصدمات التي لا تخلو

منها حياتها، أصبحت توقن أن الموت أفضل أحداث تلك الحياة، كان المكان من حولها يضج بالتشتت كما هو الحال بداخلها.

أحيانًا يتحول الفقد والصدمات إلى لا مبالاة، لا مبالاة ستجعلك تفقد الشعور بكل شيء من حولك.

دخل والدها بعد عدة طرقات متتالية، فاعتدلت بجلستها احترامًا له وهي تنتظر سماع ما بجعبته.

--مروحتيش شغلك ليه يا بنتى . . هو كريم مزعلك في حاجة؟-

كان اسمه كافٍ لإضفاء ملامح الغضب على قسمات وجهها، قررت أن توضح لوالدها حقيقة الأمور:

--لا بس أنا و . -.

لم يهتم والدها بما تود قوله رغم أهميته فقاطعها قائلًا:

--صحيح عمك سيد قال إن فيه واحد سأل عليكى من كام يوم، لكن عمك سيد صايع قاله إنك مخطوبة عشان ميفكرش يسأل تانى-.

اتسعت حدقتها، بدأ أمر خطبتها في الانتشار، لم تكن ترغب فريدة بذلك، وخاصة معرفة عم سيد به فهو أصبح أمر متاح لوسائل الإعلام.

عم سيد صاحب أكبر وأقدم مقهى في المنطقة، رجل مصري أصيل، كان دائم الجلوس واضعًا قدم فوق الأخرى وبيده (لِيَ) الشيشة، كان عبارة عن مرجل بخاري نهم يأكل الفحم.

كان سيد مؤسسة إخبارية متنقلة، لا يوجد شخص بالمنطقة إلا ويعلم تفاصيل حياته، يحفظ الأسماء عن ظهر قلب كدفاتر السجل المدني.

لم تنتبه فريدة لبقية حديث والدها قائلة:

--واحد مين وعم سيد قال ليه إيه؟-

--ما أنا بقولك مش فاكر اسمه حازم أو حمزة . . تقريباً حمزة أه . . بس أطمنى يا بنتى هو طفشه وقاله إنك مخطوبة لكريم المهدي ابن رجل الأعمال-.
صعقت فريدة، ليتها لم تسأل من الأساس، ابتسمت وقد بدأت في استيعاب الأمور، تتذكر اسم حمزة جيدًا وتعلم أنه الصديق المقرب لكريم المهدي.
--أنا هقوم دلوقتى يا بنتى، لكن مش عشان خطيبك صاحب الشركة تغيبى براحتك-.
ابتسمت ابتسامة لا معنى لها قائلة:
--شكراً لنصيحتك يا بابا-.
بدأت فريدة في تجميع خيوط الأحداث، شرعت في ترجمة الأمور بناء على وجهة نظرها:
-برافو يا كريم لعبتها صح إنت و صاحبك . . للدرجة دي كنت حمل عليك-
اجهشت فريدة ببكاء يقطع نياط القلوب، تشعر أنها كانت حمقاء عندما وثقت به.
أسوء شيء هو انتهاء علاقة ما في ظل اقتناع كلا الطرفين أن الأخر هو المخطئ.
في تلك اللحظة يصبح الوداع أمر لا مفر منه، ولعله فراق دون سابق وداع.

*****

--ما تيجى نبقى ندخل فيلم رعب يا فريدة؟-
قالتها فرح في شيء من الجدية.
--إيه الأفكار دي . . مستحيل طبعا-.
--ليه مستحيل طبعا يـا بت؟!-

--يا فرح إنتى لسه عارفانى؟! يعنى مبحبش جو الشياطين والرعب والأرواح
. . ماليش فيه إرحمينى من أفكارك دي-.
ابتسمت فرح قائلة:
--الشياطين!! قديمة أنتى أوى وبعدين الشياطين دول إحنا بنعيش وسطهم، كتير من البشر اللى بنقابلهم أخطر على حياتنا من الشياطين يا فريدة، صدقينى الرعب اللى بجد في الواقع اللى بنعيشه مش في شوية التمثيل-.

*****

كل لحظة تتأكد أن نظرة فرح للحياة كانت صائبة، كانت ترغب في البكاء لكن من الواضح أنها استنزفت كافة دموعها.
دائمًا من العبث مجادلة من يظن نفسه أذكى من أنجبت البشرية، هكذا كانت قناعتها لكنها استجمعت قواها والتقطت هاتفها لمكالمته،
نعم مكالمة كريم!
على الجانب الأخر تعالت ضحكات الثلاثي، أخيرًا جمع شملهم.
--صحيح يا هشام، واخدنا سلام وأحضان ومشوفناش أي هدايا، وإياك تقولى جايبلك جلابية وسبحة إنت مكنتش مسافر السعودية-.
قالها حمزة مازحًا فاختلطت ضحكاتهم بصوت رنين هاتف كريم، صُدم عندما وجد فريدة هي المتصلة، هل فكرت الآن في سبب ما للدفاع عن نفسها؟
نهض كريم للرد عليها من خارج المكتب لكنه لمح أحد الأوراق التي ظهر طرفها وغمرت الملفات بقية معالمها، يذكر هذا الإطار المميز ذا اللون الوردي لكن لا يذكر هوية تلك الورقة، لم يهتم إلا بالخروج والرد لسماع ما لديها:
--ألو-.

قالها وهو يغلق باب المكتب الخاص بحمزة خلفه.
--إنت إزاى كده . . تصدق إنى وثقت فيك . . وفي الأخر تعمل كل ده إنت وصاحبك عشان تسيبنى و يكون الغلط منى مش منك . . بس خلينى أعترف إنك ذكي يا كريم لا وممثل هايل كمان . . طيب يابن الناس ماكنت تقولى وأنا هبعد بدل ما تبعت حمزة و تـ . . . -.
كانت تتحدث بحرقة، الآن انفجرت القنبلة الموقوتة التي ضُبطت بيد الجميع، كان اسم حمزة صدمة فوق كل شيء، ما دخل حمزة بالأمر، قاطعها:
--أنا مش فاهم منك حاجة، حمزة مين؟-
تحول الغضب لضحكة أطلقتها عبر سماعة الهاتف، لكنها كانت بألف صرخة:
--مش بقولك ممثل هايل . . بس إعرف إنك ظلمتني وربنا هيجيبلى حقي يا كريم-.
أغلقت الهاتف في وجهه، ظل كريم ثابتًا مكانه، ما دخل حمزة، عاد بالذاكرة لدقائق، من جديد يلعب القدر في حياته دوره، تلك الورقة مجهولة الهوية هي السيرة الذاتية التي قدمت بها فريدة على العمل، يذكر كريم أنه ظل محتفظًا بها طوال تلك المدة.
دلف كريم للمكتب، صامتًا لا يرسل إلا تلك النظرات الحانقة لعين حمزة، مد يده ليلتقط تلك الورقة، تمامًا كما توقع، رفعها كريم وقد استمر صمته في وجه حمزة.
--إيه يا كريم . . كنت بشوفها من باب الفضول بس-.
وقعت عين كريم على بعض العلامات المميزة التي وضعها حمزة أمام عنوان ورقم هاتف فريدة.

كان هشام على الحياد يوزع نظراته بين عين كريم الحانقة وتصرفات حمزة المرتبكة، بدأ وجه حمزة في الاحمرار وكأن شيئًا ما أصابه.
--هتحكيلى إيه حصل ولا أهينك قدام كل الموظفين-.
قالها كريم بصرامة، لم يكن يمزح أو يبالغ والجميع يعلم أنه إن اضطر لذلك لفعلها فرد حمزة متصنعًا الهدوء:
--ما أنا قولـ . . -.
قاطعه كريم:
--إطلع بره الشركة يا حمزة، كنت فاكرك عقلت، وحتى لو لسه غلاوى زي ما إنت مش على أقرب أصحابك يا أخى-.
حاول هشام تهدئة الطرفين لكن دون جدوى، جذب الأخير كريم من يديه وذهب به إلى مكتبه:
--فهمني بس إيه حصل؟-
--ورحمة فرح ما هسكت له-.
لم يكن كريم ينطق بجملة سواها فقال هشام:
--فرح مين يا بني . . أنا مش فاهم حاجة-.
بدأ كريم في سرد ما حدث معه خلال العامين الماضيين، بدأ في الحديث عن كائن الـ(فرح)، كم كانت سببًا لوصوله لأقصى درجات الفرح، تعلق بها وبقوتها المصطنعة وبحديثها المَرِح، يشعر أنه يفتقدها كما يفتقد نفسه تمامًا الآن، كان في السابق يكره مرض السرطان أما الآن ومنذ أن رأى معاناتها ومرضها وتسببه في وفاتها أصبح السرطان ألد أعدائه.
بدا على هشام بعض التأثر، أخذ كريم رشفة من كوب الماء الموضوع أمامه، وقد شرع في الحديث عن فريدة، لمعت عيناه شوقًا عندما ذكر اسمها، كل

كلمة في حكايته عنها كانت تخرج من القلب تمامًا، أو هذا ما ظنه هشام، بات يوقن أنه ظلمها على قدر مساندته لها في البداية، تمكن منه شعور الندم القابع بقلبه، قاطعه هشام في منتصف حديثه:

--وإيه علاقة حمزة يا كريم، وبعدين معلش يعني مش ممكن فريدة تكون بنت مش تمام وعاوزة توقع بينك وبين صاحبك . . مش أنا اللى هقولك على الناس دي، صدقنــ . -.

قاطعه كريم قائلًا:

--مش هصدقك المرة دي . . لأنك لو فكرت فريدة ملهاش أي مصلحة إني أخسر صاحبي-.

--وصاحبك بقى إيه مصلحته؟!-

--الغِل يا صاحبي، حمزة دايما يقولها لى -إنت أكتر شاب محظوظ في جيلنا- . . عارف يا إتش إنت متخافش غير من صاحبك . . عدوك موقفه واضح إنما الصاحب اللى بيحقد عليك لو إتقلب عليك واستسلم لشيطانه هيبقى أخطر من الأعداء . . إنت فاهمني-.

ابتسم هشام نصف ابتسامة فهو دائمًا يقتنع بفلسفته بتلك الحياة فقال بشيء من الثقة:

--بتحبها-.

صُعق كريم من تلك الكلمة، تعثرت الكلمات على لسانه، كان أول شخص يعلنها له صريحة حاول تجميع كلماته المشتتة قائلًا:

--لا طبعاً دي أختي-.

أغمض هشام عينه اليمنى في عدم تصديق قائلًا:

--أنا مبسألش دي كانت جملة خبرية (إنت بتحبها يا كيمو) أنا مش لسه

هعرفك . . و بعدين أوعى تفتكر إنى بقيت أوروبى . . أحنا صايعين أوى .
. فاكر هشام بتاع زمان!-
صمت هشام هنيهة لاحظ بها شرود كريم انتظره إلى أن نظر له فأردف:
--أنا مش ضد حبك ليها، لكن عمري ما هاخد موقف من حمزة إلا لما أتأكد، بس لو اللى بتقوله ده طلع صح أنا اللى هتصرف معاه، بس جيبتك يا روميو صح؟-.
ابتسم كريم لكلمات هشام قائلًا في يأس:
--مبقتش فارقة يا إتش . . فريدة بقت تكرهنى خلاص . . أنا خسرتها للأبد-.
عبس هشام قائلًا:
--يخربيت أم إحباطك يا شيخ . . بص يا بيه الراجل اللى بيعوز حاجة ونيته خير هيوصلها . . متقعدش تندب زى النسوان وقوم شوف حل تصالح بيه البنت-.
تعالت ضحكات كريم لطريقة صديقه، هذا هو هشام عاد لسابق عهده، فم يرسل كلمات من رصاص:
--ربنا يخليك ليا يا هشام-.
--ربنا يخليك لأمك يا كيمو . . غور بقى عاوز أقعد في مكتبك لوحدى-.
--إيه ده أنا بتطرد من مكتبى كمان . . طيب روح إنت للحاج والحاجة وإلحق دينا هتدمر نفسها تليفونات . . بيتك بيتخرب يا إتش-.
صفع هشام جبهته بيده، تذكر أن دينا مازالت بالأسفل، خرج من المكتب مسرعًا كطفل تأخر على موعد الحصة الأولى بمدرسته قائلًا:
--متنساش يا كريم اللى إتكلمنا عليه-.

أومأ كريم بالإيجاب، وقد أسند رأسه مفكرًا في طريقه ما لتحسين الأمور.

*****

جلست فريدة وهي تضم قدميها لصدرها غير عابئة باهتزاز هاتفها المتواصل، قبل أن ينفتح الباب فجأة لتدخل منه والدتها قائلة بعصبية:
--ما تقومي يا بنتي تساعديني في الأكل-.
نظرت فريدة إليها وقد تملكها الضعف وشرعت في بكاء شديد، بكاء يتهز له جسدها، في تلك اللحظة تحكم قلب والدتها بكل شيء، احتضنتها قائلة بضعف استمدته من بكاء ابنتها:
--أنا آسفة طيب يا حبيبتي-
كانت والدتها تكره أن تظهر ضعيفة أمام أي شخص حتى ابنتها فتركتها تكمل بكاؤها وخرجت هي لتكمل وصلة البكاء بالخارج، كانت تشعر لدرجة اليقين أن هناك شيء قد حطم قلب ابنتها.
انتبهت فريدة بعد خروج والدتها من الغرفة لرسالة قادمة لهاتفها، تناولت الهاتف ونظرت لاسم المرسل كان أحمد وقد اكتفى بكلمة واحدة فقط.
-وحشـــتيني-
لم تؤثر بها تلك الكلمة لا تدري لماذا؟ هل ما كان بينهما من الأساس شيء لا يرقى لمفهوم الحب؟ أم أن كل منهما كان يحتاج للحب؟
تكاد تجزم أنها لم تشعر بمعنى هذا الطيف المسمى بالحب إلا بجانبه.
(كريم)
تسطحت فريدة على سريرها تاركة أذنيها لكلمات أغنية (Some One Like You) لكوكب الغرب (Adele) . . كانت تشعر أن الكلمات تصف حالها تمامًا.

القاعدة الأولى في تلك الحياة عامل
الجميع بطيب نية
أما الثانية فهي تجاهل القاعدة
الأولى تمامًا!

(٥)

التقط القطع المهشمة من الإطار تاركها بجواره ونظر إلى الصورة الموجودة بيده محتضنها.

مد يده ملتقطًا علبة من العصير المعلب، المعبأ خصيصًا لمرضى داء، السكري طارحًا على نفسه سؤال لطالما حيرته الإجابة فقرر أن يطرحه دائمًا دون البحث عن إجابته.

-هل نحن من نختار الحب أم هو من يختارنا ؟!-

تاه في دهاليز عقله، يفكر في أشكال الحب، يفكر في هذه العلاقة المسماة بـ(الاحتياج)، احتياجنا لمشاعر ما فنوجهها مباشرة على أحدهم دون النظر إلى عيوبه وقتها، فقط نحتاج تلك العلاقة، لمجرد أنها تذكرنا بأحدهم وامتلاكه خصلة ما افتقدناها في حياتنا وهذا ما قاده إلى سؤال عشق فلسفته دائمًا في الإجابة عليه.

-ما هو الفرق بين الحب الكامل وحب الاحتياج؟-

كان دائمًا يرى أن الحب الكامل لا سبب له، نحبهم ونعشقهم دون معرفة السبب، يومنا لا يكتمل بدونهم وهذا تمامًا ما حدث له في أيام عنفوان شبابه، تلك الفتاة التي غيرت ملامح حياته، التي جعلت من حياة لا معنى لها، رسالة عظيمة يجب عليه إتمامها.

أما النوع الآخر فهو يتمثل في علاقة (فريدة) بـ (أحمد)، كلٌ منهما وجد

في الآخر ظلال الذكرى، كلٌ منهما وجد (فرح) بالآخر، احتياجهما لفرح كان السبب الأول والأخير لارتباطهما، وما لبث كلٌ منهما أن أدرك أنه ليس مع الشخص المناسب.

نظر لتلك الساعة المتباطئة، كأنه ينتظر شيئًا ما، كان يشعر أن نهاية كل شيء باتت قريبة للغاية.

في وسط تفكيره المعتاد تصاعدت صوت خطوات قادمة على درج البيت، يميز تلك الخطوات جيدًا، ثوانٍ معدودة حتى صدقت توقعاته كالعادة معلنة عن وصول ذلك الملاك

(فرح) !!

*****

أيام مرت على نفس منوال سابقتها، تفكير كريم المتواصل كان عنوانها، قرر أن يكون كل شيء في تلك المرة أساسه سليم، لا ألعاب أو خطط متخفية.

طرقات دلف بعدها مباشرة إلى مكتب والده وهو يمسك في يده ببعض الأوراق، وقف أمام والده بثقة قائلًا:

--إزيك يا أستاذ حسين؟-

نظر له والده من أسفل نظارته بدون أي اهتمام، زفر كريم وقد قرر بالدخول فورًا للب الموضوع قائلًا بثقة لا تقل عن سابقتها:

--أنا قررت أتجوز، ولازم وجودكوا معايا اليوم ده، معلش هنتجمع ولو ليوم واحد في العُمر-.

تفاجأ والده من هذا القرار المفاجئ فخلع نظارته مغلقًا الملفات المفتوحة أمامه:

--تمام يا كريم، إيه رأيك في بنت (كامل السجان)؟ أظن يعنى. . . -.

قاطعه كريم قائلًا:
--أنا مش جاى أقولكوا إختاروا إنتوا . . أنا إخترت الإنسانة اللى هكمل معاها يا بابا-.
ابتسم والده في شيء من الخُبث:
--إنت مش هتتجوز إلا اللى هنوافق عليها . . خلص الكلام يا كريم-.
--مين قال إنه خلص . . الكلام لسه مبدأش . . أنا مش هتجوز جوازاتكوا دي-.
صمت عندما لاحظ استمرار ابتسام والده فازدرد ريقه مردفًا:
--أنا متمناش أكون في بيت زى البيت اللى إتربيت فيه، محبش أكون زيكوا يا بابا . . إنتـ . . .-.
نهض والده في غضب وقد مُحيت ابتسامته قائلًا:
--إخرس، البيت ده هو السبب في كل اللى إنت عايش فيه، البيت ده هو اللى عملك راجل، وعاوزك تفهم إنى مش داخل بيت البنت اللى اسمها فريدة دي، لأنى فاهمك كويس، روح كمل شغلك و بطل جنان، كمل عشان الشغل ده هو اللى مخليك تقف قدامى دلوقتى-.
تجهم وجه كريم قائلًا:
--أنا هتجوز فريدة يا بابا ويشرفنى وجودك معايا إنت وماما-.
رفع كريم الأوراق الموجودة بيده قائلًا:
--دي استقالتي يا حسين بيه . . ومن بكره هنزل أدور على شغل زى أي شاب . . لأول مرة أقولها في حياتي . . فريدة أهم شيء عندي يا بابا-.
ترك كريم استقالته دون انتظار رد والده وأدار ظهره ليسمع نداء والده، كان يتخيل خضوعه لرغبته في النهاية لكن كانت الصدمة:

--سيب مفتاح عربيتك قبل ما تمشي يا حنين-.
أخرج كريم المفتاح من جيبه تاركًا إياه على مكتب والده، خرج من المكتب مبتسمًا على الرغم من الموقف، لأول مرة يشعر بالحرية، من الآن ستصبح فريدة شغله الشاغل، سيبدأ في بناء حياته معها، أخرج هاتفه متصلًا بوالدته، بعد عناء معتاد ردت وهي على عجلة من أمرها.
--أيوه يا كريم-.
--آسف يا ماما لو بعطلك . . لكن حبيت أبلغك باللى قولته لـبابا . . أنا قررت أتجوز وده هيكون قريب جداً-.
لم يحاول سرد ما حدث مع والده، يعلم أنها لن تشغل بالها بهذا الهراء.
--مبروك يا حبيبي . . يا ترى مين سعيدة الحظ-.
--بنت اسمها فريدة الحسيني يا ماما . . أكيد متعرفيهاش-.
--فعلا معرفهاش . . هشوفك بالليل نحتفل براحتنا بقى-.
أغلقت المكالمة دون سلام، لكن يكفي أن موقفها كان أفضل من موقف والده، ما يشغله الآن حقًا موقف فريدة، لا يصدق أنه أشعل تلك الحرب دون إشارة من القائد، لا يعلم رد فعل فريدة إلى الآن، خرج من الشركة مشيرًا لإحدى سيارات الأجرة لتقله إلى منزل فريدة، كانت قدماه ترتجف خوفًا، عدة طرقات فتح بعدها (أسعد الحسيني) والد فريدة، استقبله بترحاب مبالغ فيه، دخل بعدما تأكد من تواجد الجميع بالمنزل.
أعلنت الساعة عن الواحدة مساءً، قرر كريم عدم إضاعة الوقت قائلًا:
--فيه موضوع مهم لكن يهمني حضرتك وطنط وفريدة تكونوا موجودين-,
قرابة النصف ساعة إلى أن تحقق الأمر بعد عناء الوالدين في الخروج لاستقباله، خرجت فريدة على مضد، مبعثرة الخطى لا تعبأ بأي مبررات

سيحاول الحديث عنها.
--كلنا موجودين يا ابني تقدر تتكلم-.
قالها والدها بانتظار ما سيعلن عنه حديث كريم.
--طيب أنا جاى النهاردة أطلب إيد فريدة-.
هل فقد هذا الفتى عقله أم حدث له فقدان ذاكرة، هو بالفعل قد قام بتلك الخطوة من قبل وقد تمت الموافقة، كان هذا لسان حال والديها.
كانت فريدة الوحيدة التي تفهم أنه يقصد أن تلك المرة سيكون الأمر دون أي مؤامرات.
أردف كريم بعدما لاحظ علامات التعجب المرتسمة على أوجه الحضور:
--أنا عارف إنكوا هتستغربوا . . لكن تقدروا تقولوا إنى كريم مختلف المرة دي . . أنا متمسك بفريدة أكتر من أي حاجة في حياتي لدرجة إني سيبت شركة والدي لمجرد إنه حاول يعارض الخطوة . . وموافق نحدد معاد الفرح دلوقتى-.
انقلبت الأمور، لم يكن هذا مبتغى الوالدين، من قبل تمت الموافقة على كريم المهدي وليس كريم الجالس أمامهم الآن دون عمل.
--طيب يا بني هنسيبكوا تقعدوا سوا شوية على ما أعمل حاجة تشربها، تعالى معايا يا أسعد-.
قالتها والدتها بتوتر واضح.
استلمت فريدة دفة الحوار:
--إنت إيه اللى جابك يا كريم . . اللعبة اللى بينا إنتهت . . إنت. . . -.
قاطعها كريم سريعًا قائلًا:
--أنا بحبك يا فريدة-.

صمت دام لدقائق، صعقت فريدة لكلمته، كسر حاجز الصمت قائلًا:
--ممكن أكون كسرتك أو إنتى فهمتى ده، وعارف إنك ممكن تطردينى من البيت دلوقتى، وممكن أكون بإعترافى خسرتك للأبد لأنى عارف إنك مرتبطة لكن حبيت أوضح ليكى كل حاجة-.
--أنا وأحمد سيبنا بعض من زمان وبشكل نهائي، مش ده موضوعنا إنت كسرتنى أه . . وظلمتنى وعمرى ما هنسالك ده لكن أنا أكبر من إنى أطردك والكلام ده . . خلص قعدتك مع أهلى براحتك . . وقبل ما أنسى الخاتم بتاعك أهو. . أنا قايمة-.
تركته فريدة في المنتصف المميت وغادرت المكان، هي لم تقبل ولم ترفض أيضًا، دخلت فريدة لغرفتها وهي تبكي بحرقة، للتو عاندت قلبها، لشراء كرامتها.
خرج الوالدان بعد مغادرتها لملاقاة كريم الذي حاول مرارًا المغادرة لكن قدميه كانتا ترفض الأمر، خلال ساعات خسر والديه وفريدة.
--إيه يا بني اللى حصل . . فريدة بتعيط ليه؟!-
لم يبُح كريم إلا بكلمة واحدة:
--أنا آسف-.
نهض كريم متثاقلًا كمن كبلت قدماه بالأصفاد، قبل أن يلامس مقبض الباب سمع صوت نداء من الخلف للمرة الثانية بعد نداء والده، تمنى أن يكون وقعه أقل من صدمته في والده، كان يعلم جيدًا أنه صوت فريدة الذي لن يتوه عنه أبدًا.
--أنا موافقة يا كريم-.
قالتها بابتسامة بالكاد خرجت وسط دمعاتها، لأول مرة يرى هذا الخليط

الجذاب.
عاد كريم بعض الخطوات قائلًا:
--يبقى نعمل الفرح على طول لكن بعد إذنك يا عمي إنت وطنط ننزل أنا وفريدة شوية لازم أشرحلها شوية حاجات، وبعدها نقعد نحدد كل التفاصيل-.
لم يمانع الوالدان على الإطلاق، عادت فريدة لغرفتها لتبديل ملابسها ووضع بعض مستحضرات التجميل التي لم تكن في حاجتها يومًا على الإطلاق، فلقد أنعم الله عليها بجمال يجذب الأعين.
تصاعدت نغمات هاتف كريم، (هشام) . . الاسم الذي أعلنت عنه الشاشة:
--طيب أستأذنكوا أنزل أستنى فريدة تحت-.
--إتفضل يا بني-.
استقبل اتصال هشام وهو على درجات السلم:
--إنت فين ياهبل . . سألت والدك قالى راح مطرح ما راح . . أنا عارف إن عيلتكوا هربانة منهم بس مش للدرجة دي-.
ابتسم كريم لكلمات هشام قائلًا:
--أنا عملت اللى كان لازم أعمله من زمان يا إتش، لما أقعد معاك هنتكلم-.
--طيب يا غامض . . أشوفك بالليل . . سلام-.
انتهت المكالمة وما هي إلا دقائق وقد ظهرت فريدة كعروس، كل دقيقة يراها كريم أجمل من سابقتها.
أشار كريم لسيارة أجرة، متجهًا لأحد كافيهات مدينة نصر، وصلت سيارة الأجرة ودخل كريم وفريدة، جذب لها أحد المقاعد برومانسية لم تعتد عليها من قبل، على الفور بدأ كريم في سرد كل ما حدث، تحدث عن موقف

حمزة وموقفه مع والده.
كانت فريدة مندهشة من كل ما تسمع، بالكاد كانت تصدق أن الأمور وصلت لهذا الحد.
--أنا مقبلش إنك تخسر أهلك عشانى يا كريم-.
ولدت ابتسامة على وجه كريم قائلًا بنظرة حانية:
--إنتى أهلى يا فريدة . . مش عاوز من الدنيا غيرك . . أنا عيشت مع أهلى أكتر من ٢٧ سنه وعمرى ما حسيت إنى عايش إلا لما ظهرتى في حياتى-.
احمر وجه فريدة خجلًا قائلة وهي تبعد عينيها عن عينيه:
--طيب تقدر تقولى هنتجوز إزاى وإنت عاطل؟-
وضعت فريدة يديها على فيها بعدها تنبهت لكلمتها السابقة فانطلقت ضحكات كريم قائلًا:
--من بكرة هنزل أدور على شغل زى أي شاب في الدنيا . . هنبنى حياتنا سوا يا فريدة-.
مد كريم يده ليمسك يديها طابعًا قبلة عليها، تحركت دمعات الفرحة بعينيها.
فريدة كأي فتاة في الدنيا لا تحلم إلا بشخص تشعر بالأمان معه، شخص يتمسك بها وإن تخلت الدنيا عنهما وأدارت لهما ظهرها.
--أوعدك يا فريدة أفضل جنبك العمر كله . . إنتى عارفانى لما بوعد-.
قالها كريم ليكسر حاجز الصمت بينهما فردت فريدة قائلة:
--Forever?-
--يرحمكم الله يا حبيبتى-.
خرجت ضحكة مدوية جعلت أنظار الجميع تتجه نحوهما، لأول مرة منذ

أيام طويلة قد تصل للشهر تخرج ضحكة من قلبها بالفعل،
أردف كريم قائلًا:
--ما أنا لسه قايل طول العمر . . ولا هي أي أسئلة وخلاص-.
--ما هم بيقولوها كده يا كريم-.
--هي شفرة فتح باب . . مش طقوس جواز هي يعنى-.
ابتسمت فريدة مستسلمة وقد فضلت طرح السؤال الذي لمع ببالها فجأة:
--وإنت هتعمل إيه مع حمزة . . ده صاحبك يا كريم برضو-.
--كان صاحبى . . وأنا هتصرف معاه بالطريقة القذرة بتاعته، صحيح هشام رجع من السفر وعاوزين ننزل نتجمع كلنا، وفيه مفاجأتين هتعرفيهم وقتها-.
عضت فريدة على إبهامها متسائلة بصوت مسموع:
--إنت سيبت سارة صح؟-
رد عليها كريم بجدية:
--لأ طبعًا، عمري ما هسيبها يا فريدة-.
زالت الابتسامة من على وجهها بعد رده، كانت تتوقع الرد بالإيجاب لكن فاجأها الرد تمامًا، قفزت من على مقعدها ليسقط إثر دفعها له قائلة:
--إنت إزاى كده . . هتتجوزنا في نفس اليوم مثلاً . . ده ناقص تقولى هدخل بيتنا ألاقيها-.
حاول كريم منع ضحكته لعدم استفزازها قائلًا:
--هي فعلًا هتعيش معانا في البيت وبعدين كل اللى فارق معاكى نفس اليوم ولا يوم تانى، إترزعى عشان بقى شكلى (أندروير) خالص، أنا متحضر وبقول أندروير كلمة كمان وهقول الكلمة التانية إنتى فاهمة-.

جزت فريدة على أسنانها، تكره بروده المعتاد، جذبت حقيبتها لتغادر لكن كريم أمسكها قائلًا:
--إنتى يا بنتى مش هتبطلى العصبية دي، لاحظي إن أنا كمان عصبي . . أقعدى لو حابة تعرفي مين هي سارة-.
جلست فريدة في حين أشار كريم للنادل قائلًا: -إتنين لمون يا باشا عشان معانا واحدة أعصابها تعبانة النهارده-.
لم تعبأ فريدة بجملته قائلة:
--مين سارة دي؟-
--دي يا ستى بنت. . -.
التقط كريم كوب الماء معلقًا حديثه عند تلك النقطة ليثير غضبها أكثر، كان يعشق جنانها على الرغم من تسببه في إحراجه دائمًا فقالت بغضب:
--هو أنا قولتلك إنها أنثى البطريق-.
أنزل كريم الكوب ضاحكًا:
--إيه ده ما إنتى بقيتى بتعرفى تهزرى أهو . . جاهزة تسمعى ولو قاطعتينى والله ما مكمل-.
--إتفضل يا كريم-.
--دي بنت يتيمة يا فريدة عندها ٨ سنين-.
قاطعته شهقتها، فوضعت سريعًا يديها على فيها حتى لا يشعر كريم بأي مقاطعة لحديثه فأردف:
--والدها مات بسرطان المخ وهي عندها سنتين، ووالدتها ماتت في حادثة بعده بسنة، هي كانت البنت الوحيدة عندهم وطبعاً عشان إحنا إنعدمت فينا الإنسانية أعمامها وخالاتها رفضوا يربوها، ودخلوها الملجأ اللى بروحلها

فيه إسبوعياً مرة تقريباً، في عز تجاهل أهلى كانت هي الوحيدة اللى بتسمعنى، لما بحضنها أو بكلمها بحس إنى إرتحت بجد، حاولت أجيبها تعيش عندنا في البيت أهلى رفضوا-.

--ليه؟-

قالتها فريدة وقد نست أنه طلب عدم المقاطعة فأشار لها بإصبعه على المقاطعة:

--أنا هكمل عشان إنتى مش قاطعتينى فعلاً . . ليه ؟ . . لأن حسين بيه المهدي وبشرى هانم مينفعش يبقى عندهم أحفاد بالتبنى . . دي أهانة لمكانتهم الاجتماعية-.

--سارة لازم تعيش معانا يا كريم . . أرجوك-.

--طيب يلا نروح بقى ونكلم هشام ومراته وهعدى أخد سارة ونقعد كلنا بالليل-.

--يلا بينا-.

*****

كان دخان الشيشة يتصاعد من كافة الأنحاء في تلك القهوة، جلس حمزة ممسكًا بكوب الشاي والشيشة بيده الأخرى، عيناه تخرج شررًا، ساعات لم يفعل بها شيء سوى الحديث لنفسه وزفر دخان شيشته:

--أنا تطردني يا كريم، مش مكفيك واخد كل حاجة في الدنيا، عموماً الموضوع كبر في دماغى ويا أنا يا أنت بقى-.

كلمات وسط العديد من كلمات التوعد لكريم، لم تكن عيناه تنبئان بأي خير، كان حمزة كأغلب البشر لا ينظرون إلا للجانب الأفضل من حياة البشر، متجاهلًا أنه أمام كل لحظة سعادة يعيشها أحدهم، أعوام كاملة من

الفقد والحزن والاحتياج.
مسك حمزة هاتفه وقد بدا عليه الشغف لفكرة شيطانية ما، أجرى اتصالًا رسم على وجهه ابتسامة خبيثة، يعلم جيدًا أنه سيجدي نفعًا.

*****

مرت ساعات استعد خلالها الجميع لأول تجمع بعد عودة هشام، بالتأكيد سيكون تجمعهم نقطة فاصلة للجميع.
الساعة الثامنة مساءً توقف كريم أسفل بيت فريدة منتظرًا إياها، لكن تلك المرة لم يكن وحيدًا، نعم كانت سارة برفقته، علم مسبقًا أن هشام قد وصل بالفعل إلى مقصدهم المتفق عليه، هذا ما يجعله متأخرًا عن موعده بالفعل.
ظهرت فريدة أخيرًا، ارتسم على وجه فريدة ابتسامة واسعة عندما رأت تلك الفتاة الهزيلة ذات الشعر الأصفر، رأت في وجهها ملامح فرح رحمها الله، هرعت تجاهها فاتحة ذراعيها لاحتضانها فقال كريم بسخرية وهو يحك ذقنه:
--أكيد الحضن ده مش ليا-.
بعد احتضان فريدة لسارة لثوانٍ قاربت الدقيقة قالت وقد انتبهت لجملة كريم السابقة:
--كنت بتقول حاجة يا كريم-.
--لا يا حبيبى سلامتك . . بقول ربنا يخليكوا ليا-.
--أها . . يلا نروح للشباب بقى-
ركب الثلاثة سيارة أجرة والتي أقلتهم لمقصدهم، كان كريم يتمنى أن يتوقف الوقت عند تلك اللحظات، اللحظات التي تجمعه بالعائلة، هشام،

فريدة، سارة ودينا، كانوا بمثابة العائلة لبعضهم البعض.
كان الجلوس معهم مفعم بالطاقة والسعادة، تبادل الجميع التحية، نظر كريم لدينا مباركًا لها على كل ما حققته، على صبرها في مواجهة المرض والبلاء، كان دائمًا فخور بها، نظر كريم في أعين الجميع قائلًا:
--أسرتي الجميلة، بعد فاصل طويل من الأخبار الحزينة في حياتنا نقدر نعلن أخبارنا الحلوة لبعض، والبداية من هشام-.
تنحنح قائلًا:
--أولاً قدامكوا وقبل كل شيء عاوز أقول لدينا ربنا يبارك فيكى لأنك كنتى بيت ليا قبل ما تكونى زوجة-.
توجهت أنظار الجميع تجاهه إثر جملته الحانية، فأردف:
--أولاً كلنا في انتظار أستاذ (كريم هشام) . . كان لازم اسمك يلزق في اسمي يا كريم-.
قالها وهو يوجه حديثه لكريم الذي نهض من مقعده معانقًا إياه دون رد فعل من هشام الذي أكمل حديثه ساخرًا:
--إنت بتحضن والدك يا كريم . . أقعد يا حبيبى-.
ضحك الجميع على جملته حتى سارة التي لم تفهم معنى كلماته لكنها ضحكت عندما وجدت الجميع يضحك، فعاد كريم لمقعده مرة أخرى مبتسمًا، قرر أن يستلم هو محور الحديث:
--طيب قبل احتفالنا في حاجة لازم تتم في وجودكوا-.
مد كريم يديه بجيب سترته مخرجًا علبة زرقاء ناعمة، نزل على إحدى ركبتيه موجهًا العلبة بعد فتحها لفريدة قائلًا:
--تتجوزيني-.

صُعقت فريدة، فعلى الرغم من موافقتها مسبقًا إلا أن طريقته جعلتها توافق وهي في أتم الاقتناع.
صفق الجميع فيما عدا دينا التي نهضت لتحتضنها مباركة لها.
--هو ده الكلام . . أيوه بقى-.
قالها هشام مستمرًا في التصفيق.
دائمًا ما ترغمنا الحياة على روتين فتاك قاتل، لكن دائمًا بيدنا كسر هذا الروتين، الأمر فقط يحتاج إلى شيء من الجنون، كسر المعايير والقيود، التمييز بين ما يراه المجتمع خطأ وما هو خطأ بالفعل.
تعاقبت المفاجأت لتنال سارة نصيبها من الفرحة عندما أعلن كريم أن سارة ستعيش معه هو وفريدة بعد الزواج.
--أنا بحبك أوى يا عمو كريم-.
قالتها سارة ببراءة طفولية وعيناها تلمعان من السعادة.
أشار هشام لكريم ففهم أنه يريد محاورته على انفراد.
--ممكن تقولى الخطوة الجاية إيه؟ هتفتح بيت إزاى وإنت من غير شغل؟ وإيه اللى حصل مع أبوك؟-
--ده موضوع طويل أوى يا إتش، بس إطمن أنا كنت بشيل جزء دايما من مرتبى وده عملى مبلغ محترم، ومن بكرة هنزل أدور على شغل إحتياطى، ولمعلوماتك أبويا عامل كل ده عشان يلوى دراعى-.
--خير يا صاحبى، أنا من بكرة لو عاوزنى هنزل معاك نشوف شغل ونقدم الـ(CV) في أكتر من شركة، إنت نويت ع الفرح أمتى؟-
--خلال إسبوع . . أيوه ٧ أيام متستغربش-.
--ماشى يا عم أنا جنبك في أي حاجة-.

--ربنا يخليك ليا، يلا نرجع عشان قعدة البنات مع بعض خطر علينا-.
عاد الطرفين لمكانيهما، ليلة كانت أفضل من سابقتها، ليلة كانت السعادة عنوانها ولا شيء سوى السعادة، طالت جلستهم لقرابة الساعة والنصف.
ليلة أعادت الجميع لمنازلهم وقلوبهم مفعمة بالحيوية والسعادة، بدأ كريم في إعداد كل شيء بدء من دعوات عرسهم وصولًا لمملكته الجديدة التي ينبغي أن تكون لائقة بفريدة ومكانتها بقلبه.
أما فريدة؛ شعرت أنها عادت للتو إلى الحياة، تشعر بأعتى درجات السعادة لمجرد عودة كريم، لا تعبأ بما حدث من قبل مطلقًا، أخذت طريقها لغرفتها في خطوات دائرية، تدور كرجل التنورة القديم.
دلف هشام إلى بيته رافعًا الهاتف على أذنه، بعد محاولات عدة رد حمزة أخيرًا عليه:
--إنت مبتردش ليه؟-
لم يسمع سوى الصمت الطويل فأردف:
--أنا بكلمك يا بني . . إنتـ . . -.
--هو أنت مش صدقت كريم في كل حاجة قالها-.
--أنا لو صدقته مكنتش هكلمك دلوقتى، أنا هسألك سؤال واحد، إيه علاقتك بكل اللى بيحصل ده؟-
احتد حمزة قائلًا:
--أنا لو عاوز أبوظ حياته هبوظها بمليون شكل ومن زمان، بس إيه مصلحتى؟! بص هو جاب أخرها كده-.
--طيب إهدى . . أكيد ده سوء تفاهم يا حمزة، فرح كريم خلال أيام، وأياً كان إيه حصل لازم تكون معاه-.

اتسعت عينا حمزة قائلًا:
--فرحه .. هو ومين ؟ .. وهيكون إمتى بالظبط ؟-
--إمتى بالظبط دي معرفش، فرحه هو وفريدة الحسيني-.
صُعق حمزة من الخبر، فقط منذ أيام كان على يقين أن حدوث هذا الأمر مستحيل، رد حمزة سريعًا لإخفاء صدمته:
--طيب أنا هصالحه عشان خاطرك، إبقى عرفني الفرح إمتى بس-.
انتهت المكالمة على عكس المعهود بسؤال عن الحال وسلام.
ألقى حمزة بالهاتف بعيدًا عقب نهاية المكالمة، خابت كل ترتيباته، لم يكن يتوقع حدوث الأمر بتلك السرعة، لم يكن يتوقع حدوثه من الأساس.
-هو أنا ليه بعمل كده؟-
سؤال لطالما تردد على باله، لكن سرعان ما تحضر الإجابة سريعًا لذهنه، يشعر دائمًا أن كريم هو محور الأحداث، هو المرغوب دائمًا.

*****

يوم مناسب تمامًا لرغباته، يتحسس كل دقيقة تلك العلبة الموجودة بجيبه، اشتراها من راتب أشهر طويلة، ضوء القمر أعطى الليلة طابع مثالي للغاية، جلس مباشرة إلى جوارها، يتأمل عينيها وشعرها المنسدل على عينها اليسرى، كيف يخبرها بما يريد، كسرت ريم حاجز الصمت:
--كنت عاوزة أعترفلك بحاجة يا حمزة-.
كان حمزة مؤمنًا أن ما في القلوب يصل مباشرة إلى القلوب، يؤمن أن القلوب هي من تتحدث قبل تلك الألسن، تمنى أن تقصر عليه المسافات بأي اعتراف أو حتى تلميح بسيط.
لاحظت صمت حمزة فأردفت ريم:

--إنت عارف إني بعزك جداً، إنت الأخ اللى كان نفسي فيه من زمان-.
تحولت الليلة لأسوء ليالي حياته، تعذب بكل حرف قالته كعذاب أحد معتقلين غوانتانامو، أغمض عينيه في محاولة للتماسك.
--حمزة إنت كويس؟-
داهمه سؤال ريم فحاول عدم إظهار النيران المشتعلة بقلبه قائلًا باختناق:
--وهو ده الاعتراف؟!-
--بصراحة لأ-.
من الواضح أن للأمر بقية، لم تنته الصدمة إلى هذا الحد، صمت حمزة منتظرًا اعترافها، لتكمل جملتها:
--أنا معجبة بـ كريم المهدي . . وعاوزاك تساعدنى . . إنت طبعا صاحبه وهتقدر تساعدنى صح؟-
--لأ-.
رفض قطعيًا وهو ينهض، ألقى بورقة فئة عشرين جنيهًا على الطاولة قائلًا:
--أنا طلبت واحد شاي وده حسابه، مش أختي! حاسبي لنفسك بقى من مصروف بابا وماما-.

*****

تذكر الموقف وكأنه حدث بالأمس، (ريم) هي أول حب بحياته وكان الأخير، تذكر الموقف وتابعته عدة مواقف جعلته يوقن أنه لا يُكن لكريم سوى الكره، حتى وإن حاول التغلب على ما بداخله، أصبح الأمر لا مفر منه، كل شيء يحصل عليه كريم دون أي مجهود.
استلقى على سريره ناظرًا لسقف غرفته قائلًا بنصف ابتسامة:
--زى ما بوظت ليا أجمل أيامي، هردهالك يا ابن حسين المهدي، هردهالك

يا عريس-.

*****

مرت ثلاثة أيام، طرق كريم بهم أبواب أغلب الشركات، لا شك أنه سيحصل على وظيفة قريبًا بإحداهم إن لم يكن لكفائته فسيكون لاسم عائلة المهدي، دائمًا يسعى للوصول للنجاح دون أي مساعدات وراثية حتى وإن كان اسم عائلته.

توقف أمام شركة (نائل الحداد) رجل الأعمال السعودي بعدما ترك الـ(CV) بالشركة في انتظار تواصلهم معه.

توقفت أمامه سيارة لا يعلم هويتها إلى أن قام هشام بإنزال زجاجها قائلًا:

--أكيد مش واحدة بتعاكسك، أركب-.

ابتسم كريم وهو يدلف للسيارة:

--وأنا إيه عرفنى إنك مأجر عربية جديدة، ولا شاريها ما إنت فلوسك كتير-.

--أعوذ بالله، خمسة يا عم، هتروح فين؟-.

--هنروح نجيب دعوات الفرح، خليته يعملها مستعجل-.

ابتسم هشام قائلًا:

--ربنا يستر من الاستعجال بتاعك في الموضوع ده-.

--أطمن أنا فكرت كويس، وكلمت أهلها وقررنا أنه يكون الخميس الجاى يعنى بعد أربع أيام-.

--يابن اللعيبة، إسبوع بالظبط زى ما قولت يعنى-.

--بالظبط-.

دقائق حتى وصلا لمكتب الدعايا، أعجب كريم وهشام كثيرًا بتصميم الدعوة،

في تلك اللحظة شعر كريم باهتزاز هاتفه بجيبه، تعجب من كونها والدته:

--ألو-.

--إلحقنى يا كريم، حسين عمل حادثة ودخل المستشفى-.

لم تكن الصدمة هينة مطلقًا، أول ما لمع بذهنه أن والده غير راضٍ عنه:

--مستشفى إيه؟-

--مستشفى مدينة نصر، كانت أقرب حاجـ . . -.

أغلق كريم المكالمة وانطلق كقذيفة لا تعبأ بضحيتها، حاول هشام تهدئة كريم لكن دون جدوى، وصل كريم للمستشفى فلم ينتظر مرافقة صديقه هشام، هرع إلى الداخل، سأل على مكان تواجد (حسين المهدي) فدله الجميع، ومن لا يعلم مكانه فتلك الحالة هي محور الحديث والاهتمام الآن.

وجد كريم الطبيب يقف مع والدته، لأول مرة يشعر بحبها لوالده، لأول مرة تبكي خوفًا من فقدان زوجها، اقترب منهما كريم قائلًا:

--بابا عامل إيه يا دكتور؟-

--هو كويس يا فندم لكن محتاجين نقل دم لأنه نزف كتير، وبعدها هنحطه تحت الملاحظة، لكن المشكلة إن فصيلة دمه (O-) ودي نادرة جدًا.

غمرت نظرات اليأس وجه كريم ووالدته، لا أحد منهما يشابهه في فصيلة الدم، أخذ كريم جانبًا بتلك الردهة محاولًا الاتصال بأغلب معارفه، منهم من لم يجب من الأساس ومنهم من اعتذر لعدم تشابه فصائل الدم حتى هشام الذي وصل متأخرًا لم يشابه والد كريم في فصيلة دمه.

ألقى كريم بجسده المنهك من إثر التفكير على أحد المقاعد المعدنية الموجودة بالمستشفى، فجلس هشام بجانبه رابتًا على كتفه، تصاعدت

صوت رنة هاتفه، وجد المتصل فريدة، لقد وعدها بالاتصال عند استلام دعوات عرسهما، لكن كان القدر كعادته على الموعد.

ترك كريم والدته وصديقه ليأخذ جانبًا للرد على فريدة:

--أيوه يا فريدة-.

--إنت فين يا كريم، مش قولت هتكلمنى-.

--حصل ظروف يا حبيبتى، أنا آسف-.

كان صوت كريم لا يبشر بالخير مما أثار قلق فريدة، فأسرعت قائلة:

--حصل إيه !!-

--بابا عمل حادثة يا فريدة-.

شهقت فريدة، تذكرت فرح على الفور، اختلط بداخلها شعور الخوف على والده وشعور الفقد والحنين إلى فرح.

أردف كريم قائلًا:

--مش دي المشكلة، المشكلة إن فصيلة دمه (O -) ودي نادرة جدًا ومش لاقيين متبرع-.

--أنا فصيلة دمي (O -). -

قالتها فريدة بلا تردد، تعلم جيدًا أن والد كريم لا يكن لها سوى الكراهية لكنها ستكون نقطة إيجابية في مقتبل تلك الحياة، أو هكذا كان ظنها.

قال كريم مسرعًا:

--أرجوكى يا فريدة تيجى بسرعة، أرجـ . . -.

--من غير ما تقول يا كريم ده والدي، هلبس وهاجى فوراً-.

أغلق كريم المكالمة عائدًا لمن أثقل التفكير كاهلهم، لم يكن يظن أن والدته تحب والده لهذا الحد، كان دائمًا على يقين أن كل منهما عبارة عن تحصيل

حاصل في حياة الأخر، وليس شيء محوري، لكن خابت توقعاته.
قال كريم بصوت مفعم بالأمل:
--لقينا المتبرع-.
--بجد-.
قالتها والدته بابتسامة باهتة.
--فريدة يا ماما-.
عم الصمت الأرجاء في انتظار فريدة، هي من ستنقذ تلك العائلة كاملة.
منذ أيام كانت فريدة شيء شائك في حياة (حسين المهدي) لكن الآن هي الوحيدة القادرة على إنقاذ حياته، إنه الوقت الذي يصر القدر فيه على إظهار سذاجتك في الحكم على الأشخاص.
دقات عقارب الساعة تشعر الجميع بالخطر، دائمًا التركيز معها يعطي إحساس بالرهبة وكأن هناك شيئًا ما متوقع الحدوث.
بالفعل وصلت فريدة، طلب كريم من أحد أفراد طاقم التمريض إخبار الطبيب بوجود متبرع، قبل أن تدخل فريدة الغرفة سمعت اسمها، صوت أنثوي لأول مرة تسمعه، صوت والدة كريم، نهضت والدته مسرعة وقامت باحتضان فريدة قائلة:
--عمري ما هنسى وقفتك معانا-.
--ده واجبي يا طنط، إنتوا عيلتي دلوقتى، ربنا يطمننا كلنا على عمو-.
جلس كريم شاعرًا بالانتصار، هذه الفتاة لم تجد من والده سوى الرفض والاحتقار، ها هي بكل شجاعة تقرر إنقاذ حياته، فارق الخوف رويدًا مكمنه بصدره، أصبح شعور الاطمئنان ملازمًا لتواجد فريدة دائمًا.
أسلمت جسدها على الأريكة في حين نقر كريم على باب الغرفة ليطمئن

عليها.
--الممرضة قالت إنك تعبتي يا فريدة-.
ردت بصوت يكاد يسمعه:
--ربنا يجعل تعبنا كلنا بفايدة يا كريم-.
--ربنا يخليكى ليا-.
جملة على الرغم من إنها تبدو معتادة إلا أنها ألهبت مسامعها، جعلت الدماء تتدفق في وجهها من جديد، هناك كلمات لا نتذوقها حقًا إلا عندما نسمعها من أقربهم لقلوبنا.
أردف كريم:
--فوقى إنتى وإشربى العصير ده وروحى . . و خدى دعوات لعمو وطنط . . حلاوتك وإنت دايخ كده-.
قالها محركًا حاجبيه فانفجرت فريدة ضحكًا، أصبح هو الوحيد القادر على إخراجها من أي ألم أو إعياء، كان كريم مكافأة صبرها طوال تلك الأعوام السابقة.
خرج كريم مشيرًا لصديقه هشام:
--عاوزك تاخد ماما وفريدة وتوصلهم-.
--وإنت يا كريم-.
مسح كريم بيده على وجهه في يأس:
--أنا هقعد جنبه لغاية ما يتحسن، واجب مش أكتر يا هشام، بلاش نقاش دلوقتى، وصلهم وخد بالك منهم-.
--حاضر، قولهم يجهزوا، أنا هكلم دينا أشوفها لو عاوزة حاجة-.
اتجه هشام ليجلس في المكان المخصص لاستقبال أسر المرضى، لقد كذب

بشأن دينا، قام بالاتصال على حمزة، هذا هو الوقت المناسب ليقف إلى جانب كريم.

رد حمزة على الفور:

--إيه مات؟-

قالها حمزة دون أي مقدمات، دون شفقة أو شعور.

--مين ده اللى مات يا بني؟-

--حسين المهدي، مش عمل حادثة النهاردة؟-

اعتلى وجه هشام غضب مختزن من بداية اليوم:

--ده اللى ربنا قدرك عليه-.

--هو عامل إيه دلوقتى يا هشام؟-

زفر هشام في ضيق قائلًا:

--أهو تحت الملاحظة، كان محتاج نقل دم والحمد لله إتصرفنا-.

--وإنت بقى يا شهيد الصداقة اللى إتبرعت!-

يبدو أن حمزة قرر إعلان الحرب، قرر أن يظهر موقفه الآن للجميع، قرر كشف كل أوراقه.

--لا مش أنا يا حمزة، أسيبك بقى عشان هوصل والدة كريم وفريدة-.

تصاعدت ضحكات متقطعة مصطنعة من حمزة:

--فريدة، هي مع كل واحد شوية ولا إيه؟-

--أنت قذر، وأنا مش هرد عليك، مش مصدق إنك كنت واحد من أقرب الناس لينا، يا أخى حتى عشان العيش والملح-.

لم ينتظر هشام ردًا، أغلق الهاتف في وجهه على الفور.

نظر حمزة للهاتف بعد أن تفهم إغلاق هشام المكالمة في وجهه قائلًا:

--طيب مع السلامة يا حبيبى، إستنوا عليا إنتوا الإتنين-.

*****

تناثرت النجوم كثوب براق فوق جسد السماء، أشعل كريم لفافة تبغ وهو يقف شاردًا أمام باب المشفى، تفجرت التساؤلات في عقله.

هل ما حدث كافي ليتغير رأي والده؟

كيف تُكن والدته هذا الحب لشخص لا تراه إلا صدفًا طوال حياتها؟

ماذا سيكون رد فعل حمزة على خبر زواجه من فريدة؟

لكن ما شغل عقله حقًا هو ذلك السؤال الغريب.

لماذا نبحث دائمًا عن تلك الأشياء الموجودة أمامنا؟

عاش كريم عمره كاملًا يبحث عن تلك الفتاة التي ستكون له بيت، حتى وبعدما ظهرت فريدة بحياته ظل مستمرًا في لعبة التجاهل.

أسوء لحظات حياتنا هي تلك اللحظات التي نبحث بها عن مبتغانا وهو بين أيدينا وأمام أعيننا، فرحم الله تلك القلوب المشتتة.

في تلك الأثناء زفر أخر أنفاس سيجارته، الواحدة صباحًا، لا شيء سوى النوم الآن، صعد لغرفة والده ليحضر مقعدين متواجههين آخذًا وضع النوم عليهما.

مر الليل سريعًا، سمع اسمه فتخيله حلمًا لكن تكرار الاسم جعله يوقن أنه هناك من ينادي عليه، فتح عينيه ببطئ ليجد والده هو المنادي، قال بصوت متثاقلًا:

--حمد لله على سلامتك يا بابا-.

--الله يسلمك يا بني-.

قالها والده بشق الأنفس، مردفًا:

--كنت عارف إنك مش هتزعلني-.
ابتسم كريم وهو يفهم ما يرمي إليه قائلًا:
--أنا عمري ما هزعلك يا بابا-.
مد يده ليلتقط دعوة عرسه هو وفريدة مردفًا:
--دي دعوة فرحي، أتمنى تيجى بجد، والحمد لله إنى إطمنت عليك-.
بدأت ملامح والده في التغير فأكمل كريم:
--قبل ما تقول أي حاجة عاوزك تعرف إن فريدة هي اللى إتبرعت بدمها ليك، فصيلة دمك نادرة وهي الوحيدة اللى حصل بينك وبينها توافق، يا رب تكون فاهمنى، أشوفك علي خير-.
خرج كريم أمام نظرات والده، خرج والدموع تملأ عينيه، يتمنى أن يحتضن والده الآن فرحة بالاطمئنان عليه، لكنها لحظة وجب عليه الاختيار فيها، إما أن يترك المشاعر تتحكم في زمام الأمور أو يكون حازم في قراره.
أخرج الهاتف ليتصل بوالدته، ردت بعد ثوانٍ معدودة كأنها كانت بانتظار المكالمة:
--طمنى يا كريم-.
--إطمنى يا ماما، بابا فاق وبإذن الله يتحسن وضعه-.
--الحمد لله، أنا هخلص الشغل النهاردة، وهعدى أطمن عليه وأشوف لو ممكن يخرج قريب-.
صمت كريم لبرهة ثم قال:
--مش عارف موقفك إيه من الفرح، بس لازم تيجى يا ماما، نفسى في اليوم ده نتجمع زى أي شاب في فرحه-.
لم يتلق كريم سوى صمت أمه فأردف:

--طيب يا ماما، أشوفك على خير-.

مر كريم على أحد المطاعم، طلب كوب من الشاي وقطعة كيك.

-هذا وقد تعرض رجل الأعمال الشهير (حسين المهدي) بحادث أدى إلى نقله للعناية المركزة مباشرة، وإلى الآن الحالة غير مستقرة-

كان هذا صوت فتاة في منتصف العشرينات، يُقال عنها إعلامية، ليتها تتأكد من صحة أخبارها كما تهتم بمستحضرات تجميلها وشعرها المنسدل على كتفيها، ليتهم جميعًا كذلك.

ساوره شيء من السعادة، لا يعلم كيف يشعر بها وهو دون عمل إلى الآن، كيف يشعر بها في ظل رفض تام من قِبل والده على زواجه، كيف يشعر بالسعادة فى ظل تحول أحد أقرب أصدقائه إلى عدوه اللدود، يعلم أن هناك ما يرتب له حمزة الآن.

لكنه سعيد لمجرد وجودها لجانبه، أصبحت تسيطر على تفكيره بشكل مثير للاهتمام، أيام تفصله عن بقائها إلى جواره مدى الحياة.

يعجبني من يظنون أنفسهم عقلاء
!
ليتهم يعلمون أن كل ما بالأمر
أنهم لم يجربوا الحب بعد . . .

(٦)

الأربعاء (اليوم السابق للعُرس) . . .

رنت الشمس إلى الأرض بشغف، أيقظ كريم صوت طرقات أجراس الباب المتوالية، قام من نومه فزعًا، كم يخشى حدوث أي شيء يعكر من صفوه خلال تلك الأيام.

دقائق حتى وصل إلى باب منزله، فتح ليتفاجأ بمن وقفوا أمامه مترصدين لظهوره من خلف الباب.

تراجع عدة خطوات للخلف ناظرًا لهيئته.

*****

كلما اقترب موعد العُرس شعرت بافتقادها لصديقتها فرح، تتمنى أن تكون بجانبها هذه الأيام، كل منهما حلمت باليوم الذي ترى فيه صديقـتها بثوبها الأبيض، لكن كان هناك ثوب أبيض أخر شاهدت صديقتها به قبل أي شيء، مرت أعوام وإلى الآن لا تصدق أن فرح توفيت، لكنها بقيت وستبقى أبدًا بداخلها.

كعادتها دخلت والدتها دون أي مقدمات لكن وكأن كل شيء أصبح مختلفًا، اقتربت لتطبع قبلة على جبهة ابنتها:

--أنا عاوزاكى تسامحينى يا بنتى لو زعلتك منى في يوم، كنت بتمنى يوم

فرحك يجى في أسرع وقت، كنت بتمنالك إنسان يعيشك مرتاحة ومتحمليش هم المستقبل. . إنتى كنتى صح . . أهم حاجة الحب . . سامحينى يا فريدة-.

لحظات لم تتحرك فريدة من مكانها، هل حقًا تلك هي والدتها، ما الذي أبدل حالها الآن، لم يهمها السبب قدر اهتمامها بسرقة عناق منها، عناق تحتاجه الآن وبشدة.

--يلا بقى نقعد نحكى شوية . . وحشتينى يا بت-.

قالتها والدتها وهي تجذبها خارج الغرفة.

*****

تراجع عدة خطوات للخلف ناظرًا لهيئته، لم يكن مستعدًا لهذا الحشد، دلف للداخل هشام وزوجته إضافة إلى والدة كريم ولكن المميز الآن هو حضور والده معهم.

--أخر أيام العزوبية يا كيمو، بس إيه الشياكة دي؟-

قالها هشام رابتًا على كتف كريم ناظرًا له من أعلى لأسفل في حين جلس الجميع.

--حمد الله على سلامتك يا بابا، ربنا يباركلنا في صحتك-.

قالها كريم متجاهلًا لسخرية صديقه، قالها وقد اطمئن قلبه على والده.

--الله يسلمك يا كريم، تعالى أقعد جنبنا-.

أشار والده لجواره ليجلس كريم.

بالفعل لبى كريم رغبة والده، يبدو أن كلاً منهما لديه ما يود قوله:

--إنت هتسمعنا ومش هتقاطع حد فينا سواء أنا أو مامتك-.

أومأ كريم إيجابًا فأردف والده:

--دي ورقة مش هتفتحها إلا لما أقولك، لكن قبل ما تفتحها أنا عاوز أعتذرلك على موقفي من فريدة، صدقنى فريدة أثبتت لى إنها أفضل إنسانة في الدنيا-.

لاحظ نظرات زوجته له فأردف مصححًا:

--أفضل إنسانة بعد مامتك يا كريـم . . هاااه-.

ضحك الجميع على أسلوبه فأكمل حديثه:

--ثانيًا تصحيحًا لأي شيء عملته قبل كده تم تعيينك مدير الشركة والموضوع كله واقف على إنك تمضى على الورقة اللى في إيدك دي، أنا محتاج أرتاح-.

--مش لوحدك-.

قالتها والدة كريم، فانتقل كريم بنظره لها وقد ارتسمت عليه نظرة غير مصدقة لكل ما يحدث الآن لتكمل والدته:

--أنا استقلت من الشغل إمبارح، ممكن تكون خطوة متأخرة لكن كان لازم نعوض كل الأيام اللى إتفرقنا فيها، لا فلوس ولا شهرة تسوى دقيقة واحدة وسط أسرتك وأهلك، للأسف بنفضل نجرى ورا سراب من شغل لفلوس وبننسى أن كنزنا اللى بجد هم أولادنا وأهلنا، آسفة ليكوا بجد-.

لا يعلم سبب تلك الدموع الجارية على وجنتيه، يشعر الآن بالدفئ، يشعر بمعنى العائلة:

--افتح الصندوق ده كده يا كريم-.

قالها هشام مشيرًا لصندوق تعدى ارتفاعه نصف المتر تقريبًا، ترجل كريم نحو الصندوق، ليجده فارغ تقريبًا إلا من مظروف أبيض بالأسفل.

تذكرتين ذهابًا وإيابًا لمدة أسبوعين لباريس، نظر لهم نظرة امتنان، الآن أصبح يتأكد أنه على قدر الأزمات يأتى الفرج.

قال مبتسمًا:
--طيب تذكرتين لباريس وبجد مش عارف أقول ليكوا إيه، لكن كل الصندوق ده ليه؟!
أجابه هشام ساخرًا:
--أعتبره المركب اللى هتسافر فيه إنت والمدام باريس وأهو لو رجعت ملقيتش شقة تسكنوا فيه-.
انفجرت ضحكات الجميع، قال والده:
--الشقة دي بتاعتك يا بني، أنا ومامتك هنعيش في فيلا التجمع ولو حابب تعالى إنت وفريدة عيشوا معانا-.
--لا يا بابا، أنا ممكن أخد الشقة دي لغاية ما أقف على رجلى وأشترى لنفسى شقة، صدقنى كل اللى محتاجه وجودكوا ووجود فريدة معايا، أي حاجة تانية مش فارقة
نظر لهشام وقال مسرعًا:
--وجودكوا دي تعود عليك إنت ودينا عشان منستخفش دمنا-.
--طيب تعالى عاوزك على جنب-.
ابتعد الصديقان عن الأهل، فقال هشام بخبث:
--بالليل هخرجك خروجة توديع العزوبية، وفيه بقى حبة حاجات هتعجبك أوى، إنت فاهمنى بقى-.
--صدقنى ممكن أعملك أنا حفلة توديع للحياة كلها-.
قالها وهو يشير بعينيه تجاه دينا مردفًا:
--هيبقى شكلك وحش أوى قدام أبويا وأمي وإنت بتتهزق . . إنت فاهمنى بقى-.

قالها كريم بنفس لغته في حين تراجع هشام مهرولًا تجاه زوجته مقبلًا يدها، متداركًا ما قد يحدث له.

مر اليوم بأفضل ما يكون، إنه دفئ العائلة، تضارب بداخل كريم شعور تمنياه أن يدوم هذا اليوم إلى الأبد مع شعور تمني نهاية اليوم ليأتي اليوم الذي سيجمعه بمن قلبت حياته رأسًا على عقب.

أعلنت عقارب الساعة عن الثامنة مساءً، مر اليوم أسرع من سابقيه، كعادة الأيام التي لا نتمنى مرورها، انفصل كريم عن الجميع للاتصال على فريدة.

يبدو أنها كانت تنتظر تلك المكالمة ردت:

--عارف يا كريم، من أول ما شوفتك وأنا بحبك، لكن داياً مقتنعة إن علاقة الصداقة مبتحتملش إننا نفترق، دائمًا كنت خايفة أعترف ليك بده أخسرك، حتى لما كنت موجوعة بسببك-.

قاطعها كريم:

--وليه السيرة دي بس دلوقتى-.

--إسمعنى ومتقاطعنيش-.

--أوامر معاليكى-.

تنفست فريدة بصوت مسموع مكملة:

--حتى لما كنت موجوعة منك كان فيه حاجة جوايا بتقول كريم ميعملش كده، أنا داياً بثق فيك، وبفهمك من عينيك، الحكاية كلها إن لو فاضل في عمري يوم أو شهر أو سنة أحب تكون معاك-.

كلمات لمست قلب كريم قبل أي شيء، سمعها بقلبه قبل أذنه، لم يجد ردا مناسبًا فقال:

--ربنا يخليكى ليا، أنا هقفل معاكى دقيقة وأكلمك تانى-.

أسرع كريم مردفًا:

- -فريدة!-

- -نعم يا كريم-.

- -أول بنت هنسميها فرح إتفقنا؟-.

ابتسمت فريدة، شعرت أنه لا ينسى صديقتها كما هو حالها تمامًا.

خرج كريم على الفور من الغرفة التي انعزل بها للحديث مع فريدة، أشار لهشام الذي اتخذ مجلسه بجوار والد كريم، من الواضح أن حوارهما كان في غاية الأهمية، أو هكذا كان مدلول ملامحهما.

على الفور اعتذر هشام من والد كريم ملبيًا نداء صديقه:

--هات مفتاح العربية-.

قالها كريم بصوت منخفض لكنه لم ينتبه أن والده أصبح قريب منهما، دس حسين – والد كريم- يده بجيبه:

--إتفضل يا إبنى ده مفتاح عربيتك، بشرط إن أول مشوار بيها يكون لفريدة-.

ابتسم كريم عندما شعر أن والده يفهم غرض طلبه الآن، عاد كريم لغرفته مستعدًا للنزول فورًا.

دقائق طويلة أثارت قلق فريدة، حاولت الاتصال به مرارًا، بعد عناء قام كريم بالاتصال بها قائلًا:

--قبل أي حاجة إطلعى من البلكونة-.

بالفعل لبت فريدة طلبه، خرجت لتجد سيارة امتلأت بالورود وبالونات الهيليوم، أما كريم فقد وقف بجانب السيارة حاملًا باقة من الورد قائلًا بأعلى صوت:

--قدام الناس دي كلها، بوعدك أفضل العمر كله أسعدك، وأكون ليكى قبل البيت بيت-.

جملة كانت كافية لتفصل فريدة من عالمنا، كانت كافية لتفصل أي من بنات حواء خاصة إن خرجت من القلب ولمست القلب.

كانت ليلة من أفضل الليالي التي مرت على الجميع، تحول تام في حياة الجميع.

*****

الخميس (يوم العُرس) . .

أعلنت الساعة عن السابعة مساءً، تبقى أقل من ساعتين على موعد العُرس، توقف حمزة أمام مرآة غرفته، ينظر لنفسه في إعجاب، تلك الابتسامة الباهتة المُتوعدة لا تفارق وجهه أبدًا، أصبحت كشيء ولد به.

-أنا معجبة بـ كريم المهدي . . وعاوزاك تساعدنى-

-إطلع بره الشركة يا حمزة-

جمل عديدة لمعت في عقله، فابتسم قائلًا:

--هباركلك على طريقتي يا كريم النهاردة-.

*****

كانت كالقمر الذي استحت النجوم من الظهور إلى جانبه، في كل لحظة يتأكد أنها أجمل نساء العالم، جلست إلى جواره بالمقعد الخلفي للسيارة وقد صاحبهما هشام وزوجته بالأمام، تصاعد صوت صابر الرباعي من سماعات السيارة وكأن هشام يشعر بقلب صديقه.

أجمل نساء الدنيا جوه عيوني انتي

أجمل نساء الدنيا انتي يا حبيبتي
خدني الغرام، خدني لحكاية حب حلوة
عشت ليها، شفت فيها أجمل حياة
وصل الجميع للقاعة، قام كريم بفتح الباب لتخرج منه فريدة، صنع الحضور ممر للعروسين، وسط صافرات وتصفيق الجميع، لفت أنظارهم (سارة) والتي وقفت بجانب والدي كريم.
أخيرًا وصل العروسين للمكان المخصص لجلوسهما وقد بدأ الحشود في السلام عليهما وتهنئتهما، مال كريم لأذن فريدة قائلًا بابتسامة:
- -عارفة إنك زى القمر-.
ضحكت فريدة خجلًا فأردف كريم:
- -أخيرًا عرفت بيقولوا إيه يوم الفرح عشان العروسة تضحك، أنا عبقرى-,
في تلك الأثناء لاحظ كريم قدوم أحد الأشخاص ليبارك له، حذاء أسود مع بنطال أسود هذا كل ما ميزه كريم قبل أن يجد حمزة أمامه قائلًا:
- -مبروك يا صاحبى، مفيش أنسب من الوقت ده أقولك فيه إنى عرفت غلطى، وهتتأكد الليلة دي من الكلام ده-.
ارتاب كريم من جملته، كانت تحمل الكثير، عاد كريم للجلوس مرة أخرى وقد بدأ وجهه يتصبب عرقًا، لا يخشى شيئًا لكنه يعلم أن حمزة قد يحولها إلى ليلة مختلفة تمامًا عن ما تمنى.
في تلك الأثناء دخل هشام البوفيه قائلًا:
- -الله ينور عليكوا عاوزين ساعة ونص ويكون الأكل كله جاهز-.
اطمئن هشام للخطة لكن فقد اطمئنانه عندما وجد هذا الكيس المكتوب عليه بعض الرموز الكيميائية، استدار بعنف موجهًا حديثه لأقرب شخص

من تلك الأكياس.
- -إيه الكياس دي؟-
قالها بعنف فرد الرجل فورًا:
- -دي حمزة بيه قالنا نحطها على العصير لأنها مقويات، والله يا فندم ده اللى حصل!-.
لم يهتم هشام بالجدال قائلًا:
- -وفين العصير ده؟-.
- -لسه خارج يا فندم-.
أسرع هشام، كانت المسافة بينه وبين صديقه لا تتعدى البضع أمتار لكن كان يصيح باسمه لعله ينتبه.
وصل هشام لكريم قبل أن يرفع الكوب على فمه، التقط هشام الكأسين وألقى بهما أرضًا وهو يصيح بعنف.
- -أنا آسف يا كريم، يوم ما دافعت عن القذر اللى قاعد قدامك ده – مشيرًا لحمزة – البيه المحترم كان حاطط ليك سم في العصير وده الدليل-.
قالها مشهرًا الكيس بيده، توقف انبعاث نغمات الأغاني وسط دهشة الجميع.
ترجل كريم من مكانه متجهًا لحمزة وقد غطى الغضب على هيئته قائلًا:
- -فاكر سامحتك كام مرة؟ بس إنت الحقد مالى قلبك، أنا مش أحسن منك لأنى كويس، أنا أحسن منك عشان إنت قذر، الغل و الحقد أول صفاتك، إنت دمرتنا كلنا وأكتر من مرة لكن الشياطين اللى زيك مكانهم السِجن-.
أشار كريم لرجال أمن القاعة لكن حمزة كان أسرع من قدومهم، أخرج حمزة سلاحه وسط صرخات الجميع قائلًا:

- -فكر زى ما تفكر، حتى فرحك مش هيكمل، وهتكون إنت السبب-.
انطلقت طلقة لستقر برأس حمزة، قتل نفسه، حتى عندما اختار الموت اختاره ليجعل ضمير كريم غير مستريح.
اتجه كريم نحو فريدة وقد احتضنها لأول مرة، يتحسس وجودها الآن، وجودها هو أكثر شيء له معنى وسط تلك الأحداث.
بين بكاء وأنين اقترب كريم من جثة حمزة هامسًا:
-يا شيخ والله رغم كل حاجة عملتها كنت بحبك وهفضل أدعيلك، حتى وإنت بتموت كان هدفك توجع ضميرى وتبوظ فرحى، ليه يا حمزة!-

*****

دخلت فرح مقبلة جبهة والدها كعادتها، كانت دائمًا تشفق على جلوسه الدائم على هذا الكرسي المتحرك، لكن كعادتها كانت تمرعليه باستمرار لتطهو له الطعام وتنظف البيت، قالت ببهجة:
- -عاملالك حبة أكل هيعجبوك أوى يا بابا-.
، كان دائمًا يعشق طريقتها، ماثلت والدتها –
فريدة – في كل شيء، لا يعلم كيف مرت السنوات بتلك السرعة، اشتاق لوالديه ولهشام ولفريدة حتى صديقه حمزة انضم لقائمة الأشخاص الذين يفتقدهم كريم بشدة.
نظر للصورة التي تهشم زجاجها منذ قليل مبتسمًا، يتمنى أن تحل بداية المشوار الآن، كان دائمًا يؤمن بمقولة الدكتور مصطفى محمود.
-ثم إن الدنيا كلها ليست سوى فصل واحد من رواية سوف تتعدد فصولها، فالموت ليس نهاية القصة ولكن بدايتها-
كان يتمنى رؤية فريدة، لا ينسى لحظة وفاتها منذ أعوام، لا ينسى ذلك

المرض اللعين الذي أخذها كما هدد حياة صديقتها من قبل، المرض الذي حرم الآلاف من أهلهم وذويهم، في هذا العمر تحديدًا أيقن أنه يجب اختيار الشريك الذي يكون إلى جانبنا في المرض قبل السعادة، الشخص الذي تكفي ابتسامته لحل كل شيء.

شرد فيما مضى، حياة كاملة تحكم بها القدر، الاحتياج، والتضارب، حتى الحقد أخذ دوره كاملًا في السيناريو كان يشعر وكأنه عداء وقف على خط النهاية ينظر لنقطة البداية، كم هي بعيدة!، ماذا فقدت بين خطي البداية والنهاية؟!، حياة كاملة لا يذكر أنه ربح بها بقدر ما فقد، لا يذكر كم فقد من الأهل والأصدقاء، كم من شخص تركه في أقصى أوقات حاجته له، كم صديق تحول إلى أحقر الأعداء.

سمعت فرح من الداخل صوت ما، صوت ارتطام قوي بالأرض، خرجت مسرعة لتجد والدها قد نال مراده.

توفي كريم إلى جانب صورة فريدة، توفي وقد جاور مقعدها مدى حياته، ضرب أعظم مثال لمن اتخذ الإخلاص والوفاء نهج لحياته.

كان كريم هو الرجل الذي وقف إلى جانب من أحب في حياتها وبعد وفاتها، كان أحد تلك القلوب البيضاء التي لا تحمِل سوى البقاء على العهد حتى أخر لحظات العمر.

(تمت)

للتواصل مع الكاتب

https//:www .facebook .com/omar .ashour٥٧ .

فصلة

للنشر والتوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub